روايات عبير الجديدة

لويز هاريس

واحة السلام

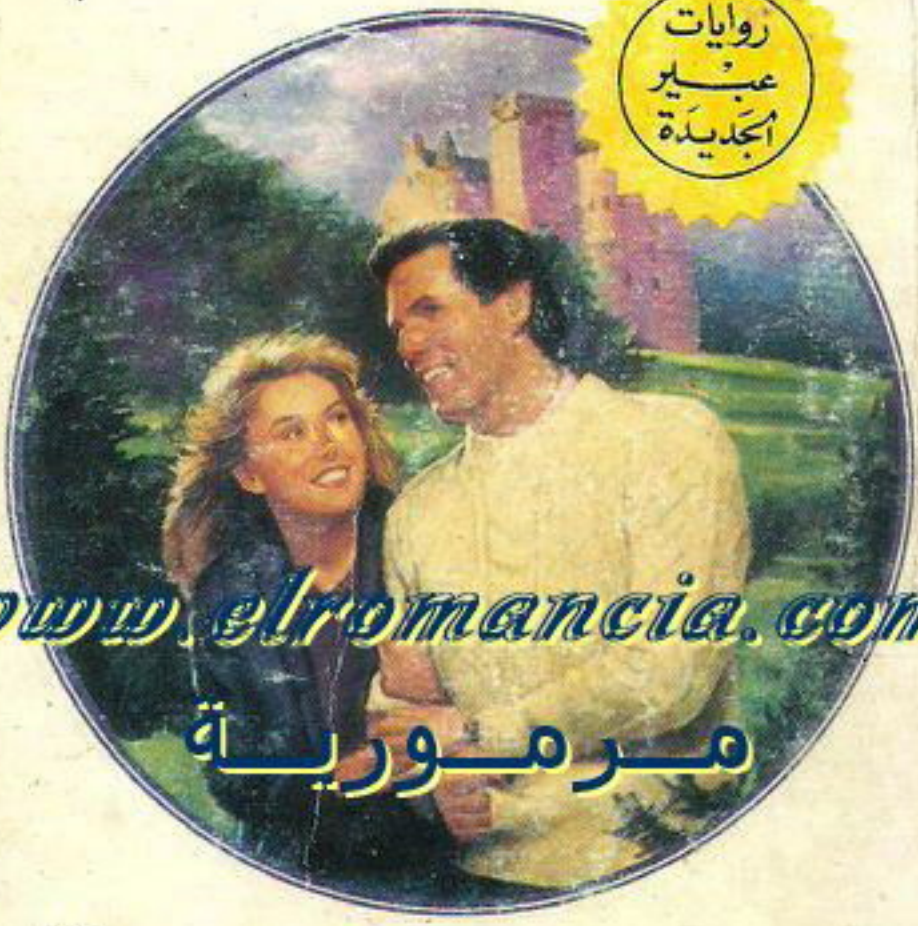

www.elromancia.com
مرمورية

www.elromancia.com

واحة السلام

لويز هاريس

كانت اليسا تختنق في بيئتها الفاحشة الثراء ومحيطها المتصنع الفارغ. وكان لقاؤها بالرسام ديفرو رافرتي حدثاً مهماً. فأخذت الفتاة تحلم بأن تصبح مثله وتعيش حياتها بحرية تامة. يجب ان تراه بأي ثمن! وقررت ان تطلب منه ان يرسم لوحة لها. ومع كل جلسة معه، كان اعجابها به يزداد اكثر. وعندما خافت ان تفقده، طلبت منه الزواج كحل وحيد!!! هل سينجح هذا الزواج؟.

-١-

كان اول لقاء بين اليسا وديفرو رافرتي في سهرة من تلك السهرات الفنية التي ترفضها عمتها اليزابيت كثيراً وتسميها بوهيمية العصر. ومع ان هذه السهرات لم تكن مليئة بالسكر والعربدة الا انها لم تكن تشبه السهرات التي تقام في بيئة اليسا.

وكانت اليسا قد بدأت تشعر بالملل عندما رأته فجأة...

«من هذا؟» سألت رفيقها الذي هو زميل لها في دراسة الفنون الجميلة، والذي يحاول استمالتها او بالأحرى استمالة ملايين آل كرينغتون.

«عمن تتكلمين؟» سألها وتبع نظراتها المتجهة نحو رجل يستند على جدار المدفأة، ويستمع لامرأة شابة نحيفة سوداء الشعر.

«ماذا؟» سألها الشاب بدهشة «الا تعرفين، السيد ديف رافرتي؟».

ديف رافرتي؟ بالنسبة لمن يهتم بالفن، كيف يمكن ان لا يعرف ديفرو رافرتي. موهبته اللامعة، وتجديده الدائم يقدم للفن اتجاهاً جديداً. النقاد يكرهونه ويعبدونه بنفس الوقت. انه يرفض الاشتراك في اللعب، ولا يرغب بتحقير الاساتذة القدماء ولا بمسايرة الفنانين الجدد، لديه عبقرية فذة تغفر له انحرافاته وشذوذه، واليسا التي كانت تعرف بعض الأشياء عنه، لم تكن قد رأته من قبل.

انه ليس كما تتخيله، كانت تعتقده سميناً قصيراً، لكن رافرتي كان طويلاً، رشيق القامة، شعره كستنائي، ووجهه جميل ونظراته تدل على قوة شخصيته.

«اتريدين ان اعرفك عليه؟» سألها الطالب بسخرية.

«نعم» اجابته بكل بساطة.

جذبها الشاب نحو الفنان «ديف!» صرخ وهو يدفعها امامه «هذه احدى المعجبات بك... اليسا كرنغتون من محبي الفن ولكن ليست كفنانة...».

«وبالتأكيد ليست كموديل»... قالت ببرودة رفيقة ديفرو.

تفاجأت اليسا بعدوانية هذه الامرأة، ولم تصدق اذنيها، فتأملت وجهها المتعالي وسخرية نظراتها، واحمر وجهها رغماً عنها.

«اوه، لست ادري»، قال ديفرو بلطف وابتسم لاليسا.

«انها وجه احب ان ارسمه، ملامحها غنية بالرقة».

لم يكن ديف ديفرو رجلاً يتحمل الاغبياء من باب الواجب، وكانت طيبته تبدو طبيعية وطغت على الاهانة التي تلقتها اليسا من هذه الامرأة الفظة، بعد خمسة دقائق، غادر الرسام الحفلة برفقة صاحبة لسان الأفعى. ولابد انه لن يذكر هذا الحادث ابداً، لكن اليسا، لن تنساه ابداً.

كانت معتادة على النهوض باكراً، وخاصة يومي السبت والأحد، حيث تقوم بنزهة على صهوة جوادها وتتمتع بالهدوء والسكينة قبل ان تستيقظ عمتها اليزابيت.

وكانت شقيقتها جاكلين قد اتت لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهما. وعندما دخلت اليسا الى غرفة الطعام وجدت جاكلين تتناول فطورها، فانزعجت وكانت ترغب بالتمتع وحدها بهذه اللحظات وبالتفكير بسهرة الأمس. مع انها لم تكن ترى اختها كثيراً بعد زواجها من فكتور.

«صباح الخير». قالت لها جاكلين عندما جلست اليسا على مقعدها.

«تدهشني رؤيتك تستيقظين بهذا الوقت المبكر».

وتأملت اختها ببرودة زادت من انزعاج اليسا. ومع ان جاكلين كانت تكبرها ببضعة سنوات فقط، الا انها كانت تزعجها دائماً بسخافتها.

«لماذا؟».

«يبدو لي ان الأشياء تغيرت منذ مغادرتي المنزل».

هزت اليسا كتفيها، وصمتها واشتمئزازها اغضب اختها التي كسرت البيضة المسلوقة بعنف. فتأملتها اليسا بحذر.

كانت جاكلين اجمل فتيات العائلة، وتملك عيونا عميقة

الزرقة. وكانت اليسا ايضاً تملك عيونا زرقاء، لكنها زرقاء عادية وشعرها كستنائي طويل حتى اسفل خصرها. وهذا كان سبباً من اسباب مشاكلها مع عائلتها.

«ما الذي يمنعك من قص شعرك هذا». سألتها جاكلين بحدة.

«انه يعجبني هكذا..».

«انت تعلمين، من الجميل ان يكون الشعر طويلاً في فترة المراهقة، ولكنك الآن في الثالثة والعشرين من عمرك، في مثل عمرك كنت انا متزوجة».

«اذاً؟».

«اذاً حان الوقت كي تتصرفي كالفتيات اللواتي في مثل سنك. ما قصة هذا الدبلوم؟».

«منذ سنوات وانا اتابع دروسي».

«نعم، ولكن لا احد يحمل هذا على محمل الجد مثلك، الثقافة بحد ذاتها ليست شيئاً سيئاً. اذا لم يرافقها كل ما تبقى... طريقة ارتدائك للملابس مثلاً، حياتك الاجتماعية، في هذه السهرات حيث تلتقين الله يعلم بمن، المخدرات، الجنس...».

رفعت اليسا رأسها وهي تتسلى بتوتر اعصاب اختها، لكنها فقدت ابتسامتها عندما اضافت جاكلين:

«عمتي اليزابيت قلقة جداً عليك».

«انها مخطئة».

«لا، هذا امر طبيعي، انها تخاف عليك، لماذا ترمين بعائلتك وباسمك؟».

«انا لا ارمي بهما».

«لا؟ اتعتقدين بأن ابنة آل كرينغتون يجب ان تهين اسمها في احط نوادي المدينة وفي كل ازقة لندن القذرة؟ اهذه هي التربية التي نشأت عليها؟».

«انت مخطئة!» صرخت اليسا. انا لااهين اسمي. ولا افعل شيئاً يحط من شرف هذا الاسم. الناس الذين التقي بهم محايدين، ويملك بعضهم المواهب، انهم افضل بكثير من اصدقائك المملين!».

«اراهن انك كالسمكة في الماء بين هؤلاء الموهوبين». اجابتها جاكلين بسخرية واستهزاء.

«انهم بالكاد ينتبهون لوجودي». اعترفت اليسا.

«رائع! اذاً انت كالذبابة التي تجد لذة في مراقبة كيف يعيش النصف الآخر من العالم!».

تألمت اليسا كثيراً، ولم تجب، وكانت تعلم بأن اختها وعمتها لا تريدان سوى صالحها... من وجهة نظرهما. وكثيراً ما تساءلت ما الذي يزعج عائلتها. واستنتجت اخيراً ان عمتها كانت ترتاح اكثر برفقة جاكلين لأنهما متشابهتان.

بينما كانت اليسا، حساسة جداً، وتجعل عمتها تشعر بأنها لم تتمكن من منح ابنة اخيها الصغيرة الأمان والمحبة التي كانت بحاجة اليهما، ولم تكن اليسا تلومها، ولا تغار من اختها.

كانت تعلم، انه يوجد في الحياة اناس يشبهونها، وكم تمنت ان تشاركهم مشاعرها وافكارها التي لا يمكن ان تشاركها بها عمتها واختها.

وكانت اليسا مقتنعة انه لا يمكن وجود انسان مثلها في الوسط الذي تنتمي اليه عائلة كرنغتون.

ولكن، وبعد كل شيء، لا شيء يضمن لها ان تجد ما تبحث عنه في السهرات المشابهة لسهرة الأمس. انها مثيرة اكثر من تلك الحفلات التي اعتادت عليها اليسا في مراهقتها. ولكن الفتاة كانت تعترف بصدق بأنه من المحتمل ان يكون السبب لأن هذا العالم كان جديداً بالنسبة اليها. اغنياء ام فقراء، الناس تقريباً متشابهون. كانوا يملكون بعداً فكرياً ضيقاً... ولكن ليس كلهم...

وفكرت الفتاة فجأة بديف رافرتي وشعرت بارتعاشة صغيرة، هذا الرجل كان مختلفاً. وتذكرت كيف اسرع لأنقاذها ببضعة كلمات لطيفة، وشعرت بالدفء في قلبها. تدخله كان لطيفاً لدرجة انها نسيت اهانة تلك الامرأة الفظة رغم جمالها، يبدو ان ديف رافرتي رجل قادر على الدفاع عن نفسه في كل الظروف.

«هاي، كرينغتون!».

كانت اليسا تخرج من غرفة الصف، والتفتت خلفها. انه زميلها الذي رافقها الى سهرة يوم السبت.

«ان اعرفك على الرسام رافرتي، هو خدمة كبيرة! انت تدينين لي كرينغتون».

«ايه... اعتقد اننا اقفلنا هذا الباب».

«اذاً، اسمعيني، يا صغيرتي!».

عندما رأت ابتسامة الرضى على وجهه، بدأت اليسا تشعر بالتوتر، ولكنها تظاهرت بالأعجاب بموقفه الرجولي.

«انا استمع».

«من الأفضل لأن هذا الذي ستسمعينه سيعجبك حتماً، هذا يجعل قلب الفتاة يدق بسرعة. اتساءل لماذا انا لطيف جداً معك... اخيراً، انت تموتين من الرغبة في الذهاب الى معرض ماكسويل، حيث يقيم معرضه».

«من؟».

«ايتها الغبية، ديفرو، طبعاً، انه عند ماكسويل».

«اليوم؟».

«نعم، ماذا استحق؟ ستعيرينني دفتر ملاحظاتك؟» ناولته دفترها بسرعة وبدون اي تردد.

«لن تجدين صعوبة في الدخول، اليسا، يكفي ان تبرزي بطاقتك حتى تفتح لك الأبواب، اليس كذلك؟».

«شكراً»، واسرعت نحو سيارتها وهي تضم كتبها الى صدرها وتجاهلت ضحكات الشاب الساخرة.

ادهشها اندفاعها الحماسي، فهي تخطت سن حب التلميذات للأبطال. ورغم ذلك، رمت كتبها في سيارتها، واتجهت نحو معرض ماكسويل دون ان تمر على منزلها لتبديل ملابسها، لم يعد يهمها الآن بنطلونها الجينز ولا درس الرسم ولا الغداء.

ولكن عندما وصلت الى المعرض، شعرت بالندم لأنها لم تبدل ملابسها، لأن فتاة الاستقبال، نظرت اليها بحذر عندما رأت ملابسها الغير انيقة.

«انا آسفة، انه معرض خاص».

«هل السيد ماكسويل موجود بالداخل؟» سألتها اليسا

بيأس.

«نعم». ونظرت الفتاة اليها بهدشة.

«اذا، قولي له ان اليسا كرنغتون تنتظره في مكتب الاستقبال، لو سمحت».

لاحظت الفتاة وثوق اليسا من نفسها، فضغطت على زر امامها وشعرت اليسا بشيء من الرضى.

ففتح باب خلفها ودخل السيد ماكسويل. وهو يضحك من شيء قاله له رفيقه. وعندما لاحظ اليسا، قال بابتسامة كبيرة.

«عزيزتي الآنسة كرينغتون!».

بالكاد لاحظت اليسا ابتسامته، كانت تنظر الى خلف مدير المعرض حيث كان يقف رجل طويل ووسيم.

«صباح الخير». قالت لديف مبتسمة.

-٢-

فهز الرجل رأسه بتهذيب، وكان يرتدي بنطلوناً من المخمل البني وكنزة من الكشمير البيج الذين يتناسبان مع لون عينيه الخضراوين، وشعره الكستنائي. انه تماماً كما تذكره، ولم تستطع ان تبعد نظرها عنه، ومع ذلك ابتسمت للسيد ماكسويل وقالت له:

«اخبرتني فتاة الاستقبال بأنه افتتاح خاص».

«نعم، ولكننا سنكون سعداء بانضمامك الينا. ولكن اين رأسي؟ اقدم لك السيد ديفرو رافرتي... اقدم لك الآنسة اليسا كرينغتون».

«نحن نعرف بعضنا» اجابته اليسا تأملها رافرتي بدهشة.

«انا آسف...».

«في سهرة يوم السبت... عند آل...» ولم تنزعج

www.elromancia.com

اليسا، افضل بكثير ان تنس من ان لا تترك فقط ذكرى ملايين آل كرنغتون.

«آه، نعم!» قال مبتسماً. «ان ذاكرتي ضعيفة...».

كانت الفتاة تشك بذلك، وسرت من لطفه، مع انها متأكدة انه من عادته ان يلتقي بالكثير من المعجبات به وبفنه.

«انت طالبة؟».

هزت رأسها بالايجاب، بينما شرح له السيد ماكسويل بحماس.

«وزبونة دائمة، انها حقاً نصيرة للأدب والفن». واضاف اطراءات مرحة اخرى، ثم ابتعد مع الرسام.

دخلت اليسا الى صالة العرض. وكان البعض يروح ويجيء والبعض يتوقف امام اللوحات ويتكلم عن قيمتها بصوت منخفض. كان الجو بارداً، فكتفت اليسا ذراعيها كي تسيطر على ارتعاشة ليست فقط جسدية، واقتربت من الحائط وتأملت اللوحة الأولى، ولاحظت نظرات بعض هواة الفن المنصبة عليها وندمت لأنها لم تبدل ملابسها.

وبعد لحظات، نسيت ارتباكها، وكانت قد رأت كل لوحات رافرتي. طبعاً كان شيئاً مختلفاً عندما تهتم بشخصية الفنان. وركزت انتباهها على اللوحات بنظرات فاحصة ناقدة.

من الواضح ان لهذا الرسام طابع مميز، بين الفن التقليدي والحديث، ودون اي ميل محدد نحو اي مدرسة منهما. هل هو صاحب مدرسة جديدة؟ حتى العمة

اليزابيت بامكانها التعرف على مواضيعه، وهذا شيء غريب بالنسبة لفنان حديث يحترم فنه.

هذه الرسومات تشعرك بالرغبة في المشاهدة، والاحساس واللمس، الرغبة في الحياة. نعم، هذا هو الانفعال الذي تفرضه لوحاته الحية. شيء ما في الطبيعة المتحفظة يبعث الاطمئنان في نفس اليسا، تلك الظلال والأنوار، والألوان الجريئة. اخذ قلبها يدق بسرعة ويستجيب لاشارات من لاوعيها. هذه اللوحات جميلة جداً! اية عبقرية! اي رجل رائع هو كي يتمكن من الأحساس بالحياة هكذا والتعبير عنها في لوحاته.

فقط لو انها تعرف شخصاً مثله! لو تعرفه هو نفسه! ولكن هذا سخيف. ديفرو رافرتي لا يعرف ماذا يفعل بكل المعجبات به.

ولكن النساء اللواتي تهمه، لابد انهن مثل تلك التي تتأمل الآن صورتها، رفيقته في ذلك المساء. مع انه جعلها تبدو مثيرة، الا انه جعلها تبدو غير مطمئنة. كانت الموديل تجلس في الظل وترفع وجهها الجميل وكأنها تستعد لقبلة. هذه الأمرأة تبدو مثيرة، ولكن عيونها باردة، لها منظر الأفعى السامة.

«ما رأيك بالطاقة، والاهتمام في الفن الحديث؟» سأل احد من خلفها.

«لست ادري». اجابه صوت مألوف لديها.

«للحقيقة لم افكر بذلك ابداً».

التفتت اليسا بنفس اللحظة التي نظر فيها الناقد لرافرتي

بذهول. والتقت نظرات الرسام الذي يظهر عليه الملل من ذلك الناقد، بنظرات اليسا، فارتعشت رغماً عنها وبسرعة عادت تتأمل تلك اللوحة.

بعد لحظات عاد ديفرو رافرتي ووقف بقربها.

«هذه اللوحة تعجبك؟».

«انها جميلة» اجابته دون ان ترفع نظرها عن اللوحة.

«طفلة احسنت تربيتها!» اجاب ضاحكاً. «انا لا احبها ايضاً».

«وهي؟ هل اعجبتها هذه؟».

دس يديه في جيبيه ثم نظر الى اليسا مبتسماً.

«يجب ان تقصي شعرك».

«حقاً!؟؟» سألته ورفعت حاجبيها.

«ان طول شعرك مزعج حقاً، فهو يخفي تقاطيع جسدك. يخفي قامتك ووجهك للأسف» قال وهو يرفع خصلات عن وجهها.

« الأفضل ان تقصيه الى هذا الحد».

هزت اليسا رأسها، وانزل هو يده. كان يبتسم لكنه يتكلم بجدية:

«انت لم تقصيه ابداً؟».

ضحكت اليسا، وكان محدثها يحاول ان يكون لطيفاً وودوداً وكأنه لا يقصد من خلال كلامه اية اهانة. انه ليس متطفلاً لكنه اراد ان يقدم لها النصيحة فقط.

«حسناً، موافقة». قالت له بهدوء. ثم انفجرا ضاحكين. ولكن كان في عينيه الخضراء بريق اربك اليسا.

وفي ضحكته رنين غريب... رافرتي يبدو طيباً، ولكنه ايضاً قادر على ان يكون ساخراً. شعرت اليسا فجأة بأن هذا الرجل قادر، وبدون جهد كبير، على ان يكون فظاً وقاسياً، فأدارت وجهها بسرعة.

انضم اليهما السيد ماكسويل وطلب من ديفرو رافرتي ان يجيب على اسئلة الناقد الفني في صحيفة التايمز. شعرت اليسا انها تأخرت كثيراً، فاشترت لوحة زيتية، وخرجت بعد ان القت نظرة نحو ديف رافرتي الذي كان مشغولاً بالحديث مع ذلك الصحفي.

في صباح اليوم التالي، وقبل ان تفقد شجاعتها، ذهبت الى المزين. وبعد قليل، كان قسم من شعرها قد اصبح على الأرض، واصبح شعرها على شكل كاري ونصف طويل، وشجعها السيد اندري المزين واقترح عليها ان تقص غرة على جبينها، فقبلت اقتراحه. وكانت النتيجة مرضية. لقد اصبح وجهها اكثر استدارة، واظهرت الغرة جمال عينيها. كان التغير رائعاً. فشكرت المزين وخرجت وهي تشعر بأنها ولدت من جديد.

احست بأنها فتاة اخرى مندفعة ومغامرة. كانت هذه اول مرة تحدث فيها تغييراً في مظهرها من اجل رجل، لكنها لم تكن تسعى للتأثير على السيد ديف رافرتي بالطبع.... الذي قد لا تراه من جديد. ولكنها كانت تفكر بأن تنال اعجاب رجلاً آخر يشبهه.

بعد لقائين صغيرين معه، نجح ديف في جعلها تتضايق من نفسها ومن حياتها.

انها معجبة به وبثقته بنفسه وجرأته وتحرره. كم تتمنى لو تصبح يوماً مثله، ويبدو لها ان قصة شعرها على هذا الشكل هي اول خطوة في الطريق الصحيح.

«رائع يا ابنتي، لقد قام المزين اندري بعمل رائع». قالت لها عمتها بحماس، واغلقت دفتر حساباتها الذي كانت تتفحصه.

«انا سعيدة جداً لأنك بدأت تهتمين بمظهرك، اليسا».

جلست اليسا، وشعرت من خلال صوت عمتها انها تخفي شيئاً آخر خلف هذا الاطراء.

«انت امرأة، الآن اليسا. بعد قليل ستتمكنين من ادارة ميراثك، اعتقد انه من غير الضروري ان اقول لك بأنني كنت قلقة بهذا الشأن. انت تقريباً غير مسؤولة بالنسبة لسنك ولحجم ميراثك. اذا لم تتمكني من ادارة مصالحك جيداً فإن هذا سيؤدي لكارثة. ان مالك يجعلك هدفاً للرجال المراوغين. لا شيء في حياتك الخاصة وفي اختيارك لاصدقائك. وفي قلة طموحك يطمئنني عليك من هذه الناحية».

تأكدت اليسا اكثر من هدف عمتها، فانتظرت التتمة بهدوء..

«اتمنى ان تبدئي بأن تصبحي بالغة وتتخلي عن بعض افكارك الصبيانية».

«اتمنى ذلك انا ايضاً».

«اعتقد انك ستجدين الحياة اسهل عندما تتخلين عن ميلك للثورة».

«انا لا اريد ان اكون ثائرة».

«مهما كان الأمر، ليس هذا ما كنت اريد ان اكلمك به. ان اختك جاكلين اقترحت ان نقوم برحلة الى جزر الانتيل في نيسان. اعتقد ان هذه الرحلة ستفيدنا جميعاً. سنريح اعصابنا مدة اسبوعين».

«لا استطيع ان اتغيب عن دروسي كل هذه المدة الطويلة. ولكن لا شيء يمنعكما من الذهاب انتما الاثنتين». اجابتها اليسا بحزم.

«الأفضل ان تعترفي بأنك لا تريدين».

«حسناً، لا اريد!».

«ان موقفك انانية».

«انا آسفة، لكن بامكانكما القيام بهذه الرحلة بدوني، انا في الثالثة والعشرين من عمري».

اخرستها عمتها بحركة من يدها.

«تصرفاتك تدل بوضوح على انك غير مسؤولة ولا يمكن تركك وحدك مدة اسبوعين بدون مراقبة» نهضت اليسا غاضبة وقالت بحدة قبل ان تتجه الى غرفتها:

«انا آسفة لأن هذا هو رأيك بي».

وقفت اليسا امام نافذتها تتساءل بحزن كيف ستعيش هذه السنوات القادمة. من الجميل ان تفكر ببداية جديدة بايجابية وحزم. ولكن هذا ليس كافياً. وبحزن حاولت ان تتخيل كيف سينظر ديف رافرتي الى عمتها اليزابيت. ولكنها متأكدة انه لم يتعرف في حياته على انسانة مثل هذه العمة. انه يبدو مستقلاً تماماً.

www.elromancia.com

كيف يمكن للناس ان يصبحوا هكذا؟ اهذا يولد معهم؟ ام بتأثير في بيئتهم؟ لكن جاكلين شقيقتها نشأت معها وبنفس البيئة لكنها ليست مثلها خجولة وضعيفة. خبأت اليسا وجهها بيديها لا يمكنها ان تلجأ لأحد، لم يكن لديها اي صديق تطلب نصحه. كان الأمر سيكون مختلفاً لو انها تعرف شخصاً مثل ديف رافرتي، بامكانه ان يعلمها الكثير من الأشياء، فهي تشعر بالشجاعة عندما تراه.

بكت اليسا ورمت نفسها على السرير، ولكي تطمئن، اخذت تفكر بوسيلة للقاء ديف رافرتي مرة جديدة. وفجأة رفعت رأسها.

-٣-

يمكنها ان تطلب منه ان يرسمها. هذه ليست فكرة صعبة.. لابد انه يرسم لوحات حسب الطلب. حبست انفاسها ودق قلبها بسرعة لهذه الفكرة. ستكون هذه فرصة للتحدث معه... ولا بأس من المحاولة، فهي لن تخسر شيئاً... شعرت ببعض الأمل، ونهضت وبدلت ملابسها من اجل العشاء.

امضت اليسا اسبوعاً تجمع شجاعتها للذهاب الى ديف رافرتي لتطلب منه ان يرسمها، وعند وصول اللوحة الزيتية التي اشترتها من معرضه اتخذت قرارها. فطلبت من البستاني ان يعلق هذه اللوحة فوق سريرها، كي تتمكن من رؤيتها كل صباح وتستمد منها حب الحياة الذي يميز هذا الرسام، واتجهت الى معرض ماكسويل لتطلب منه عنوان

www.elromancia.com

رافرتي.

استمع اليها السيد ماكسويل وعندما سكتت قال بتردد:

«نعم، ستكون هذه هدية رائعة تقدمينها لعمتك. ولكن رافرتي نادراً ما يرسم الوجوه، وقلما يرسم حسب الطلب.

«اتعتقد بأنه لا جدوى من المحاولة؟» سألته بخيبة.

«يصعب قول ذلك. انه صاحب اهواء كبقية الفنانين الكبار، ولا بأس من المحاولة».

بعد ان اعطاها عنوان ديف رافرتي. خرجت الفتاة مشرقة بالسعادة، وقررت ان تراه فوراً، فهي لم تكن ترغب فقط بسماع صوته عبر الهاتف.

كان رافرتي يقيم في شقة في الطابق العلوي في منزل قديم واسع محاط بالمحلات التجارية. انه ليس بالحي الراقي بضجيجه وازدحامه، ولا يتفق مع الفكرة التي رسمتها بخيالها عن ديف رافرتي.

صعدت اليسا السلم، ودقت على الباب. لم يجبها احد، فدقت من جديد. وبعد لحظات فتح الباب.

«من؟» سألها ديف وكان يرتدي روب الحمام القصير وحافي القدمين.

«سيد رافرتي... انا اليسا كرنغتون. لقد اشتريت لوحة زيتية من معرضك منذ ايام...» قالت له متلعثمة وشعرت بالندم لمجيئها بدون موعد سابق.

«لقد تذكرت. الفتاة الطويلة الشعر». وابتسم لكن نظرته ظلت باردة. فشعرت اليسا بأنه كان غاضباً وانه يتمالك نفسه رغماً عنه.

«قصة شعرك تعجبني الآن». قال فجأة ودعاها للدخول.

وفجأة، صفق الباب من الداخل، ورأت اليسا اداة تمر من خلف رأس رافرتي وتتحطم على الحائط. عندما سمع الضجة، اختفى ديف عبر احد الأبواب، وسمعت اليسا صوت امرأة غاضبة دون ان تتمكن من تمييز كلماتها. لكن كلمات ديف كانت واضحة جداً.

«انا لا امنعك، ارحلي!».

ثم سمعت صفقة باب جعلت الجدران تهتز، ثم عاد رافرتي. وعندما لاحظ دهشتها، شرح لها بسخرية:

«انها هكذا دائماً».

«سأعود فيما بعد». قالت اليسا واتجهت نحو الباب.

تبعها ديف وهو يربط حزام روبه. فخطر ببالها انه قد لا يكون يرتدي شيئاً تحته.

«بامكاننا ان نتكلم بهدوء في مشغلي».

استعادت اليسا ثقتها وتبعته الى غرفة واسعة منيرة، ووصلت رائحة التربنتين الى انفها، كان هناك لوحات جديدة مجمعة قرب الحائط. وأدوات الرسم مبعثرة على الطاولة. هذه الفوضى اعجبت اليسا فوراً لأنها تضفي طابعاً من الراحة والعمل. دخل رافرتي واقفل باباً مطلاً على غرفة اخرى، ونظر الى اليسا، التي شعرت بالسعادة لأنه لم يحاول الاعتذار ويحرجها من جديد.

«انت متزوج منذ مدة طويلة؟» سألته بلطف كي تقطع الصمت.

«نحن لسنا متزوجين» وعندما لاحظ تبدل ملامح

وجهها، ابتسم وقال.

«ان اسمك جميل ويناسبك».

«يدهشني تصرفها هكذا، طالما انه لا يوجد شيء يمنعها عن الرحيل».

«يجب ان تكلميها»، قال بمرح وقدم لها كرسياً.

«حسناً، اليسا كرنغتون، بماذا يمكنني ان اخدمك؟».

جلست ونظرت اليه، كان يتأملها بفضول، فتكهنت انه سيكون لطيفاً ولكن بشكل حازم، اذا كان ضحية لازعاج المعجبات دائماً.

«اريدك ان ترسم لوحة لي لأقدمها الى عمتي اليزابيت في عيد ميلادها الشهر القادم، لقد كلمت السيد ماكسويل بالموضوع، واخبرني بانك نادراً ما ترسم الوجوه، ففكرت انك قد تفعل».

«حقاً؟ ولماذا!!؟».

«انت قلت لي انك ستحب ان تفعل ذلك» اجابته بابتسامة خجولة.

«انا قلت هذا؟ متى؟» سأله وهو يبادلها الابتسام.

«في تلك الحفلة التي تعارفنا فيها، انت قلت انني املك ملامح مميزة».

«حقاً؟ هذا صحيح. وجهك مثير، مع انك لا تعرفين كيف تظهرين قيمته».

فتأملها قليلاً ثم اضاف: «ولما لا؟».

«اتعني انك موافق؟» سألته بدهشة وحماس.

«طبعاً، اذا كان السعر جيداً، لما لا؟» قال ضاحكاً

احمر وجه الفتاة امام نظراته، ولم تضف اية كلمة.

«نعم، احب ان ارسم وجهك...».

«السعر لا يهمني» اجابته على امل ان لا يبدو عليها التعجرف.

«هذا شيء مغر، مع انني اظن بأننا سنتفق». ثم فرك خده وتأملها من جديد.

«متى تريد ان نبدأ؟».

«الاثنين، في الساعة العاشرة، كوني هنا... هل يناسبك هذا؟».

«حسناً، لدي محاضرة في الساعة الثالثة، ايمكنك ان تنتهي قبل هذا الوقت؟».

«سنحاول ذلك»، قال مبتسماً.

«شكرا».

احست اليسا بأنه كان يسخر منها. فنهضت ومدت له يدها، فأمسكها بلطف، وضاعت يدها الصغيرة في يده القوية.

«بل انا اشكرك»، ثم رافقها الى الباب، فخرجت اليسا وهي تطير من الفرح، وشعرت بأن يوم الاثنين بعيد جداً، واحست بأنه يتبعها بنظراته على السلم.

«آنسة كرنغتون، حباً بالسماء ارتدي شيئاً فرح الألوان» ناداها قبل ان تصل الى الطريق.

«سأفعل ذلك»، اجابته بمرح.

وصلت اليسا الى مشغله متأخرة خمسة دقائق، فوجدت الباب مفتوحاً، وكان ديف يقف امام النافذة.

«انا آسفة جداً» التفتت نحوها واشرق وجهه العابس.

«علام الأسف؟».

«لتأخري».

«تأخرت» ونظر الى ساعته «فعلاً» ففهمت اليسا بأن عبوسه ليس بسببها. ووضعت حقيبة يدها على الأرض وانتظرت بقلق.

«ماذا؟.. نعم؟».

«تبدين شاردة».

«لا، ولكني اعتقدت انك غاضب مني لانني تأخرت».

«ماذا؟ من اجل خمسة دقائق؟» وضحك وهو يتأمل ملابسها.

يبدو ان تنورتها الكحلية وقميصها الأزرق لم يعجبا رافرتي، فحاولت الاعتذار.

«انا لا اهتم كثيراً بملابسي».

«هذا واضح، من يختار لك ملابسك؟ ولكن كم عمرك؟».

«ثلاثة وعشرون».

«يا الهي، اعتقدت انك في التاسعة عشرة».

«قد اكون متأخرة بالنسبة لعمري، فأكثر الفتيات اللواتي...».

«اللواتي في مثل سنك لا يأتون الى هنا، وانت اتيت لأنك مختلفة، انا لا ارسم كائناً من يكن... ولكن لا يمكن ان ارسمك بهذه الملابس».

«بامكاني ان اعود الى المنزل وابدلها».

«وماذا سترتدين؟».

«قميصاً بيج...».

«لا انا اعرف ما تحتاجين اليه، تعالي معي».

بدهشة وفضول، تبعته على السلم ثم على الرصيف حيث سبقها بخطواته السريعة نحو متجر الرثاث القديم، شقت اليسا طريقها بين الملابس المكدسة ووجدت ديف قد بدأ نقاشاً مع البائع.

وبعد لحظات عاد البائع من مؤخرة المتجر يحمل ثوباً من الحرير البنفسجي. فتناوله ديف وتفحصه قليلاً. كان الثوب رائعاً مع انه يعود للعصر الفكتوري، ويزين صدره الدانتيل الأبيض.

«سيكون قصيراً قليلاً، ولكنا لسنا بحاجة الا للقسم الأعلى منه من حسن الحظ انك نحيفة».

هزت رأسها اليسا برضى، وتناولت حافظة نقودها.

«دعي ذلك»، امرها بتسلط.

«ولكن...».

«لا تكوني سخيفة».

«ولكنه من اجل لوحتي!».

«اعتبريه نوع من الهدية، كفى»، ثم دفع ثمن الثوب القديم، واختار لها شريطة بنفسجية.

لم يسبق لها ان تلقت الهدايا سوى في عيد الميلاد وعيد ميلادها، كما ولم يسبق لها ان تلقت هدية من شخص اقل منها ثراءً. فدهشت من الحاح الرسام على اهدائها شيئاً مثل هذا الثوب الذي لا يمكنها ارتداؤه. مع

العلم انها تملك المال اكثر منه بكثير وعموماً، كان اكثر الناس يعتبرون انه من الطبيعي ان تدفع هي دائماً.

كان الثوب مناسباً لها، مع انه قصير قليلاً. فأجلسها ديف قرب النافذة وطلب منها ان تنظر من فوق كتفها.

«ارفعي رأسك قليلاً... نعم، هكذا... حسناً، استرخي. سنرتب شعرك الآن».

«شعري؟».

ووقفت بدهشة بينما احضر فرشاة وبدأ يسرح شعرها بخفة. كانت اصابعه رقيقة ودافئة على عنقها. فأغمضت عينيها واحنت رأسها للأمام، وشعرت بارتعاشة لذيذة تسري في ظهرها.

-٤-

ثم جمع شعرها جانباً وربطه بالشريطة البنفسجية بشكل ينزل على كتفها.

«هيا، خذي وضعك».

رفعت اليسا وجهها كما طلب منها، فكافأها بابتسامة ساحرة، مرت الساعة الأولى، ومنحها خمسة دقائق للراحة، ثم مرت الساعة الثانية وديف يعمل بصمت. وعندما لف الورقة، تنفست اليسا الصعداء. كانت عضلاتها قد بدأت تتقلص. هذا الوضع الثابت يتعبها.

«بامكانك النهوض، اذا اردت».

اذا ارادت؟ اذا استطاعت! وحركت يديها ورجليها بصعوبة.

«كم الساعة الآن؟» سألها الرسام.

www.elromancia.com

«انها الثانية والربع، يجب ان اذهب». ورفعت الشريطة عن شعرها، ثم حاولت ان تفك ازرار الثوب الخلفية.

«انتظري. . .» ثم وقف خلفها، وفك ازرار ثوبها بسرعة خبير متمرن، ولامست يداه ظهرها العاري، واحست بارتباك كبير.

«يجب ان ادفع لك ساعات اضافية».

«ولكن انا من سيدفع لك!» اجابته مبتسمة.

«لا بأس، ستدفعين الساعات الإضافية». اجابها ضاحكاً.

ضحكت الفتاة، واسرعت الى الغرفة الثانية لتبدل ملابسها، وعندما عادت لتأخذ كتبها وحقيبة يدها، كان ديف جالساً ينظر بشرود من النافذة.

«الى اللقاء يوم الخميس!» قالت له بمرح. لكنه اجابها بحركة بسيطة من رأسه، فخرجت اليسا وهي تشعر بالخيبة.

رافرتي رجل يصعب فهمه، احياناً مقطب متوتر، واحياناً ساخر ومنطو على نفسه، واحياناً لطيف ومرح. كان يعرف كيف يكون ساخراً ولكن غير لاذع. منفعل بدون جفاف، متعال ولكن بدون تعجرف. لا يبدو ان اي عيب من العيوب التي تراها فيها عمتها واختها تزعجه. انه لم يكن يلومها على عدم دقتها في المواعيد ولا على احاديثها الطبيعية.

كل ما كان يهمه، رسمه. الفن! ادركت اليسا ان لديه عيوب، ولكنها لا تذكر امام مزاياه الكثيرة. كانت تنتظر

بفارغ الصبر كل موعد بينهما وتتمنى ان تطول الساعات التي تقضيها امامه في مشغله.

كانت تأمل في ان تتعلم سر قوة شخصيته بسماعه ومراقبته باهتمامه. ولكن شخصيته لم تكن تبدو دقيقة امامها.

كانت اليسا تحب ان تبق بعد الجلسة. وكل مرة، كانت تخاف ان تزعجه وتضايقه. وهكذا، ما ان كانت تنتهي الجلسة حتى تسرع بتبديل ملابسها وبالخروج ولم تكن ترى ماغدا مويسون الامرأة التي كانت تعيش معه. مع ان اغراضها كانت لا تزال مبعثرة في الشقة، وعلمت ان ماغدا التي كانت فنانة في النحت، تملك مشغلاً خاصاً في المدينة.

ذات يوم، وصلت اليسا قبل موعدها المحدد، فوجدت المشغل خاليا، والباب المتصل مفتوحاً وسمعت صوتاً من داخل الشقة.

«لقد تعبت من فنك!» صرخت ماغدا: «انا فنانة، ايضاً! انت تتخيل ان حاجاتك هي صاحبة الأولوية دائماً؟ وحاجياتي؟ لا تهمك! انت لا تهتم ابداً بشخص آخر غير نفسك!».

«ارفعي صوتك اكثر، ماغدا!» صرخ ديف. «الناس لم يسمعوك بعد».

«يا الهي! الآن الموقف البرجوازي! ماذا سيظن الجيران! ماذا ايضاً؟ هل ستصبح بروفسيراً في الأكاديمية الملكية؟».

«آه، اذهبي الى الجحيم!».

واقترب صوت الرسام الذي ضاق صدره. فحاولت اليسا التي شعرت بالحرج ان تعلن عن وجودها. فرمت حقيبتها على الأرض واصطنعت السعال. دخل رافرتي الى المشغل، ووقع نظره على اليسا ووجهه احمر من شدة الغضب.

«انت هنا... متى وصلت؟».

«منذ دقيقة... انا... اعذرني، سمعت الصراخ رغماً عني».

«وكيف كان بامكانك ان تتجنبي سماعه؟» وضحك بمرارة، ثم اقترب من مكتبه وفتح جارورا ثم اغلقه بحدة.

«اتفضل ان اعود بوقت آخر؟».

«لماذا؟ ستتغيب طوال فترة بعد الظهر ولن تعود قبل منتصف الليل».

شعرت اليسا بالحرج الشديد. لكن ديف اضاف فجأة:

«غداً سيكون كل شيء قد نسي تماماً».

«آه؟!!».

«لماذا انت مسمرة هناك، هيا بدلي ملابسك!».

«اعذرني...».

وعندما عادت الى المشغل، كان يقف امام حمالة اللوحات يحضر عدته، جلست قرب النافذة واتخذت الموضع المعتاد.

كانت هذه جلسة طويلة، لم يكن شيء يرضي الفنان، ولم يكن يكف عن توجيه الملاحظات لها.

«ارفعي رأسك! واخيراً، ماذا اصاب وجهك؟ ان ملامحك مشنجة... استرخي! ارفعي ذقنك عالياً...».

حاولت اليسا جهدها ان تطيع اوامره، ولكنها لم تستطع. واخيراً، بعد ان يأس، توقف عن العمل، وشعرت الفتاة بالذنب، فخرجت لتبدل ملابسها وعندما عادت، كان ديف ينظر من النافذة الى المطر المتساقط.

«اعتقد انه من الأفضل ان تبقي قليلاً ونشرب شيئاً ريثما يتوقف هطول المطر».

كانت هذه الدعوة التي طالما انتظرتها اليسا. ولكن امام مزاج ديف المتعكر، ترددت قليلاً.

«اذا لم اكن ازعجك..».

«لقد سبق وانزعجت. ولابد انك لاحظت ذلك». اجابها وابتسم بضعف.

تبعته اليسا الى المطبخ وتفاجأت بالأطباق المتسخة التي تملأ المغسلة، والأوراق التي تملأ الطاولة. مع ان الساعة تقترب من الرابعة، فإن بقايا وجبة الفطور لا تزال مكانها.

«نعم، لابد ان هذا صدمك». قال امام دهشتها.

«من زيادة التثقيف وتوسيع الاطلاع ان يعلم المرء كيف يعيش نصف سكان العالم..».

كان من الواضح انه يسخر من نفسه، ومع ذلك شعرت الفتاة انه يعتبرها فتاة مدللة.

«من الجميل جداً ان يكون للمرء شقة خاصة به...».

«بالنسبة لرجل في الخامسة والثلاثين من عمره، التجديد امر متعب».

ونظف الطاولة ووضع الماء على النار.

«لماذا لا تزالين تعيشين مع عائلتك اذا كنت لا ترغبين بذلك؟».

«لا يحق لي ان اتصرف بأموالي قبل الخامسة والعشرين من عمري، او اذا تزوجت قبل هذا السن. وحتى ذلك الوقت، تبقى عمتي هي المسؤولة عن الميزانية. انها تعطيني مصروفي اليومي، ولكنها لن تسمح لي بالعيش وحدي».

«آه، المال!».

«لا يمكنني ان اجد عملاً بينما اتابع دراستي، اذاً يجب ان انتظر...» اضافت وهي تتنهد.

«عمتك هي التي اشرفت على تربيتك؟».

«نعم. لقد توفي والدي عندما كنت لا ازال طفلة صغيرة. فاهتمت عمتنا بتربيتنا انا وشقيقتي جاكلين التي تزوجت منذ بضعة اعوام، ولم يعد هناك احد غيري».

«لدينا نقطة مشتركة، والدي ايضاً توفيا وانا في الثالثة عشرة من عمري».

«هل كانا فنانين؟».

«اوه نعم! والدتي كانت فرنسية ووالدي ايرلندي، كانا يعيشان حياة رومنسية مليئة بالحب وبدون مال. كان الواحد منهما كل حياة الآخر. وكانا فنانين».

لاحظت اليسا ان حياته كانت صعبة بعد وفاة والديه، وبأنه يفتخر بأن والديه كانا سعيدين رغم فقرهما.

«الفشل»، اضاف بمرارة.

«اليس من المخيب ان نلاحظ اننا كنا نعبد اقداماً من طين؟».

ادركت اليسا في هذه اللحظات ان اعجابها به ليس طبيعياً، انها تحب هذا الرجل، وفجأة، احمر وجهها وارتجفت ساقاها ونهضت.

«اعتقد ان المطر توقف...».

«لا تتصرفي كالأطفال، حتى انك لم تشربي كوب الشاي» كان يكلمها وكأنها فتاة صغيرة، ودون ان ينظر اليها، وهذا ما اثار سخطها.

«يجب ان اذهب».

«ماذا جرى؟» والتفت نحوها.

«لا شيء، لدي موعد»، ولم تدر لماذا كذبت.

«آه، حسناً، بامكانه ان ينتظر خمسة دقائق ريثما تشربين الشاي».

واخذ ينظر من النافذة التي فوق المغسلة. فانقبض قلب اليسا لأنه صدق كذبها بدون اي تعليق.

وتساءلت كيف تجري صبحياته على هذه الطاولة مع ماغدا. انها لا تحب هذه المرأة ولكنها كانت تفهم ان رجلاً مثل ديف بحاجة لرفقة امرأة متحررة مثل هذه.

«هل ذهبت الى هناك كثيراً؟».

«مرة واحدة عندما كنت في مثل سنك في فصل الصيف، كان ذلك الصيف ممطر اكثر من كل السنوات الأخرى!».

وكانت اليسا قد علمت منه انه زار اكثر بلدان العالم.

زار اماكن مثيرة ورائعة كانت اليسا فقط قد سمعت عنها. وقررت ان تقوم بجولة حول العالم ما ان تضع يدها على ميراثها. ولكن هذا ايضا يجب ان ينتظر. ولم تكن ترغب بالسفر مع اختها وعمتها اللتين ستكتفيان بالتمدد تحت اشعة الشمس لمدة اسابيع.

«يجب ان اذهب الآن».

هذه المرة، نظر اليها مبتسماً، كان من الواضح انه يعتقد حقاً بأنها متوترة بسبب موعدها الكاذب. فرافقها حتى الباب.

-٥-

سارت تحت المطر وكأنها فتاة مراهقة طائشة حتى وصلت الى سيارتها، وعندما وصلت الى منزل آل كرنغتون، انقبض قلبها.

لأول مرة ترهقها زيارتها لديف رافرتي ودون ان تعرف السبب. ثم قالت لنفسها، ان هذا بدون شك لأنه جعلها تشعر بالوحدة.

بإشارة بسيطة كشف عما يظنه عنها. انه لا يعتبرها صديقة، ولكنه ينظر اليها كفتاة مدللة. هذا مؤسف! ولكن ماذا كانت تأمل. ان تتغير حياتها بمجرد أن يرسم لها لوحة؟.

مرت ايام شهر شباط الممطر ولم يكن ينيرها غير تلك الساعات التي تقضيها في مشغل ديف. وكانت اللوحة تتقدم

www.elromancia.com

بسرعة رغماً عنها. وقد اصبحت جلساتها مع ديف محور حياتها، كانت تشعر بالحيوية عندما تجلس امامه وتستمع اليه وهو يكلمها عن الرسم ويروي لها بعض النكات عن ماضيه. انها لا تذكر انها شعرت بالراحة في مكان آخر او مع شخص آخر.

بعد خمسة عشرة يوماً، رفع رافرتي رأسه عن لوحته بعد ان وضع اللمسات الأخيرة.

«تعالي وانظري».

نهضت اليسا وتقدمت نحوه وفجأة توقفت بذهول.

«هذا رائع... ولكن هذه ليست انا!».

«انها انت تماماً!».

تفحصت اليسا اللوحة، انها هي حقاً وبنفس الوقت ليس هي، هذه الفتاة تبدو ماكرة. انها جميلة جداً. فانحنت اكثر كي تر ماذا فعل ديف حقاً. الجسد هو جسدها، رشيق تحت القماش الحريري البنفسجي. الشعر هو شعرها ولكن التسريحة لا. انها تسريحة فوضوية تقريباً، الوجه وجهها، نفس العيون الزرقاء، والأنف المستقيم والفم الصغير...

«انت وضعت لي الماكياج!» اتهمته فجأة.

«هذا يجوز للفنان، ولكن اذا اردت بامكاني ان...».

«اوه لا، هذه اللوحة تعجبني... اهكذا تراني؟».

«م م؟» وظهر عليه الارتباك وتشاغل بالنظر الى اللوحة.

«اذا وضعت المكياج، اتعتقد انني سأكون جميلة كهذه الفتاة؟».

«هذه الفتاة هي انت!» قال بحدة والتفت نحوها.

وحدق بعيونها، وكالمذهول وبدون وعي منه، احنى رأسه، واطبق شفتيه على شفتيها في قبلة لطيفة منعشة فاجتاحها شعور غريب، واحست بقلبها يدق بسرعة وبساقيها ترتجفان.

«هذا حقيقي، حقيقي كل ما يقال في الروايات» قالت لنفسها بسعادة كبيرة.

«اعتقد انني جئت بالوقت المناسب». قال صوت ساخر خلفهما.

ابتعد ديف عنها فوراً ورأى ماغدا تقف امام الباب. وجلست اليسا على زاوية المكتب لأن قدميها كانتا ترتجفان بقوة وانفاسها مقطوعة، ولكنها لم تكن تدري ذلك بسبب القبلة ام بسبب دخول هذه المرأة المفاجيء.

«عدت باكراً؟» سألها ديف وهو يضع يديه في جيوبه.

«ليس باكراً جداً»، ثم دخلت واقتربت من اللوحة وهي تضحك، لكن كان في عينيها السوداء لمعان اقلق اليسا كثيراً. واحست بالغضب عندما احنت ماغدا رأسها لتتفحص اللوحة جيداً.

«آه»، تمتمت ونظرت الى اليسا باحتقار.

«الحقيقة لن تخدعك».

فهمت اليسا لماذا رسم ديف هذه الامرأة على شكل افعى، فهي تنقل الأن نظرها بينهما بثقة تامة.

«للحقيقة لم اتفاجأ» اضافت بسخرية. وكانت ترتدي ملابساً انيقة جداً، واستطاعت ان تجعل اليسا تبدو سخيفة

بثوبها القديم.

«انا آسفة»، قالت اليسا بدون تفكير، ثم لامت نفسها، فماغدا يحق لها ان تكون غاضبة، ولكن هي نفسها ليست بحاجة لأن تكون ذليلة امامهما.

«يا عزيزتي الصغيرة انا لم افكر لحظة بأنك انت مسؤولة عن كل شيء».

«هيا بدلي ملابسك». قال لها ديف بهدوء.

فخرجت من المشغل بسرعة وخلعت هذا الثوب البنفسجي القديم بسرعة وارتدت بنطلونها الجينز. وكانت قوة انفعالاتها لا تسمح لها بالتفكير. وعادت من جديد وهي تشعر بارتباك كبير، ووجدت ماغدا تجلس على كرسي وديف ينظر من النافذة فالتفت نحوها وقال بهدوء:

«عودي غداً في الساعة الثالثة»، وابتسم لها.

ارتاحت الفتاة قليلاً، وردت له ابتسامته. وعندما فاجأتها ماغدا بوجهها العابس، تجمد الدم في عروقها، واحست بأنها تركت شيئاً رقيقاً بمتناول يد عدوتها. وخرجت من المشغل على الفور.

ظلت اليسا طويلاً تتململ في فراشها هذه الليلة محاولة ان تفرغ رأسها من الصور المخيفة. وبدون توقف، كانت تعود لتلك اللحظة التي كان ديف يقبلها فيها، ويختلج قلبها لهذه الذكرى. وفوراً تعود لها ذكرى دخول ماغدا المفاجيء ومنظرها العابس.

يا له من موقف محرج! ان تفاجئها عشيقة الرجل وهو يقبلها في مشغله.

طالت ساعات الصباح، اخيراً حان موعد الجلسة، وهذا ما جعل قلبها يدق من الخوف والإثارة. اوقفت سيارتها وصعدت السلم المظلم وشعرت بالخيبة عندما رأت باب المشغل مغلق. فدقت على الباب بتردد، لكنها لم تسمع جواباً. فحاولت ان تدير قبضة الباب. فانفتح ودخلت.

لم يكن شيء قد تغير منذ الأمس، الا انها وحدها الآن، والغرفة باردة. ارتعشت اليسا وشحب وجهها عندما رأت صورتها.

لم تصدق عيونها، اقتربت ببطء. كانت اللوحة قد مزقت قطعتين. وقد قطع رأسها بوحشية من فوق كتفيها. والوجه لا يزال يبتسم. فأحست اليسا بالدوار.

«اللعنة!!» تمتم ديف من خلفها.

التفتت نحوه وكان يقف امام الباب المتصل، والتعب باد على وجهه.

«كنت اريد ان اهيئك قبل ان تتفاجئي».

«كيف تجرأت على القيام بهذا العمل؟» سألته اليسا غاضبة.

«اذا كان هذا يزعجك فاعلمي انني انا كنت المقصود وليس انت».

«يا له من شعور بالراحة!» صرخت وهي ترتجف من الغضب دون ان ترفع نظرها عن اللوحة.

«انا افهم ان هذا مؤلم بالنسبة لك..».

«هذه امرأة خطيرة!» ارتسمت ابتسامة على شفتي ديف.

«بالمناسبة، مهما كان الأمر، لا داعي لأن تقلقي، لقد

رحلت، وحملت كل اسلحتها وامتعتها» هدأ غضب اليسا بسرعة.

«حقاً؟».

«لقد رميتها خارجاً... عندما فعلت ذلك!».

«من النافذة، اتمنى ذلك».

«ولكن للأسف، هذا لا يصلح الضرر». وتناول اللوحة بين يديه. لم يسبق لاليسا ان رأته غاضباً بهذا الشكل، ومع ذلك، كان يتمالك نفسه.

«هل... هل يمكنك ان ترسمها من جديد؟».

«لا تكوني سخيفة! من تعتبرينني؟ إله؟».

«اعذرني، لم افكر جيداً، بالتأكيد هذا مستحيل... اذاً من الأفضل ان اذهب...».

«ماذا تقولين؟» قاطعها ديف بدهشة صادقة.

«لم يعد هناك سبب لبقائي امام هذه اللوحة الممزقة».

«سأرسمك من جديد!» رفعت اليسا رأسها وقد اشرق قلبها بالأمل.

«بماذا كنت تفكرين اذاً؟» سألها عندما لاحظ دهشتها.

«اعتقدت... انك لا تريد ان تضيع وقتك معي».

«مثلاً! ولماذا؟».

«قد يكون هذا مملاً ان ترسم نفس الرأس اكثر من مرة...».

«احب ان ارسم وجهك». قال بلطف.«والا لما قبلت ان ارسمك منذ البداية».

«آه؟..» واخفضت نظرها.

«ما بك، اليسا؟» سألها بحنان.

«بامكاني ان احذر، الأنني قبلتك بالأمس؟» نظرت اليه ولاحظت انه يحدق بها مفكراً.

لم تكن اليسا ترغب بأن يثير موضوع القبلة من جديد، فهذا يفقدها بعض سحرها.

«هل تتبدد مخاوفك اذا وعدتك بأن لا اكرر ذلك». سألها مبتسماً.

شعرت اليسا ببعض الخيبة. الم يكن يفهم؟ ولكن هذا افضل.

«هذا ليس ضرورياً». اجابته متلعثمة.

«نحن لا نريد ان نثير غيرة صديقك الصغير، اليس كذلك؟».

«صديقي... آه!» وتذكرت كذبتها.

«اوه، لم يعد له اي وجود».

«انا آسف»، وظهرت الطيبة على وجهه، لكنها صدمته عندما قالت:

«لا تأسف، لم يكن يريد سوى مالي».

«ماذا؟».

«نعم، كنت اعرف ذلك، لا تنسى انني دقيقة الملاحظة» تأملها ديف قليلاً وقد اشرق وجهه.

«حقاً؟ حسناً برافوا! الآن، لنر كيف سنرسم هذه اللوحة من جديد». ودفعها امامه الى الغرفة المجاورة كي تبدل ملابسها.

عادت العمة اليزابيت وفتحت موضوع الرحلة البحرية

من جديد اثناء تناول الغداء في الأسبوع التالي.

«لماذا تصرين على نيل الدبلوم، هذه السنة، اليسا؟».

«اريد ان انتهي. لقد تأخرت كفاية. وانا بحاجة لساعات درس اضافية».

«افهم، ولكن لماذا هذه الرغبة في الانتهاء منه بسرعة؟ اتنوين البحث عن عمل؟».

«حسناً... نعم».

«آه؟ ولماذا ستحتاجين للعمل؟».

«ارغب بأن اشعر بالاستقلالية».

«الاستقلالية من ماذا؟».

-٦-

هذه هي كل المسألة. حاولت اليسا البحث عن اجابة مناسبة تحت نظرات عمتها القاسية.

«انت مستقلة مادياً، او بالأحرى ستستقلين بعد سنتين. اتنوين التخلي عنميراثك؟».

«لا...».

«ام انك تنوين التخلي عن اسم عن ميراثك؟».

«بالتأكيد لا! ولكنني ارغب بالقيام بشيء ما، ان انطلق بمهنة تناسبني نوعاً ما» فنظرت اليها عمتها بسخرية.

«ليست المهنة هي التي تمنح المرء قيمته بين الناس، المرء يكتسب شخصيته من داخل نفسه، بالولادة. اتعتبرين نفسك بدون قيمة؟».

«نعم... اقصد لا، آه، لست ادري! اشعر بأنني لا

www.elromancia.com

املك هدفاً لحياتي».

«هدفك ان تقومي بواجبك تجاه اسم كرنغتون ستشعرين بقيمة نفسك اذا قمت بمسؤولياتك كما فعلت اختك عندما كانت بمثل سنك. اذا كنت متزوجة تصبح واجباتك مهنة تكفيك!».

«من سأتزوج اذاً؟».

«ما معنى هذا؟ انت من آل كرنغتون...».

«وما علاقة هذا بالرحلة البحرية الى الانتيل؟» صرخت الفتاة بيأس. نهضت عمتها غاضبة.

«انا لن اسمح بأي وقاحة، اليسا؟» صرخت عمتها ونهضت اليسا بدورها وهي ترتجف.

«انا لم اكن اريد ان اكون وقحة، فقط لا اريد القيام بهذه الرحلة. انا مصرة على انهاء دراستي».

«اخرجي من هذه الغرفة اليسا، فوراً» نظرت الفتاة الى عمتها بحدة، وركضت نحو الباب.

«يا الهي، غير معقول!» قال لها ديف وهو يعيد فرشاته الى العلبة «قولي لها ان تذهب الى الجحيم!».

تخيلت اليسا المشهد في مواجهة عمتها، وشعرت ببعض الراحة تجاه موقف ديف الغاضب. وكانت قد وصلت الى هذه الجلسة منهكة، وبسؤالين فقط تمكن ديف من جعلها تشكو له همها فهزت رأسها بأسى.

«لا استطيع».

وضع يديه على خصره ونسي اللوحة، واخذ يتأملها بقلق. تنهدت اليسا بعمق.

«واخيراً، وبما انني غير قادرة ولا اعرف فن الاغراء، فقد قررت ان تساعدني على ايجاد الرجل المناسب الذي سيمنحني هدفاً لحياتي». شرحت له محاولة تقليد لهجة عمتها الساخرة.

«ماذا؟ لا يمكنها ان ترغمك على الزواج!».

كان يبدو غاضباً متأثراً وقادراً على مواجهة اي كان، وقد لمعت عيناه وكأن المسألة تعنيه مباشرة. ضحكت اليسا بمرارة، واقترب ديف من النافذة التي تجلس بقربها.

«لا يجب ان تخافي من عمتك، اليسا. لا يمكنها ان تجبرك على الزواج رغماً عنك!».

«ولكنها قد تكون محقة و لماذا سأقاومها؟ الحياة قد تكون اسهل...».

«ماذا تقصدين؟».

«لست ادري! ولكنهن سعيدات!» فهز رأسه.

«لأنهن يفعلن ما يحلو لهن، وانت كنت تكتفين باطاعة اوامر عمتك».

فتنهدت بألم. من السهل ان يفكر بهذه الطريقة.. انه ليس بحاجة لشيء، ولا لأحد. ولا يمكنها ان تتخيل ان ديف رافرتي يتأثر بالضغوطات. فالتفتت نحو النافذة بحزن، وشعرت بيدي ديف على كتفيها وهو يهزها بلطف.

«ارتاحي، ايتها الفتاة الصغيرة».

كانت يداه دافئتين، مريحتين، ولكنه يعاملها كطفلة صغيرة مدللة وغير واعية.

«انا لست فتاة صغيرة!» قالت بحدة وهي تلتفت نحوه.

«لا . . . من الصعب القول ما انت عليه حقاً».

«مهما كان الأمر، انا لا اعرف الاغراء، انهن على حق». قالت بمرارة.

«من يرغب بي بدون ملايين آل كرنغتون؟».

«الكثير من الرجال». اكد لها وهو يداعب عنقها بحنان.

«انت جميلة وساحرة».

«حقاً؟ اتجدني ساحرة؟».

«بالتأكيد» فأخفضت نظرها بخجل.

«ساحرة جداً» اضاف بهدوء، واحنى رأسه، وقبل شفتيها. وعندما رفع رأسه، كاد قلبها يتوقف بين ضلوعها. ونظرت اليه بانفعال. لم يسبق لرجل ان قبلها بهذه الطريقة، وكأنها امرأة مثيرة حقاً. ولم يسبق لها ان تعرفت على رجل مثل ديف رافرتي. هذه القبلة القصيرة، تتناسب جداً مع كل ما كانت تتخيله عن الحب الحقيقي. تأملها ديف بنصف ابتسامة، كما ينظر الطبيب الى مريض يتماثل للشفاء.

«ديف» قالت له فجأة وقد خطرت فكرة على بالها.

«هل تحبني؟» ابعد يديه عن كتفيها ونظر اليها بحذر.

«احبك؟ الحب كلمة كبيرة وتعني اشياء كثيرة . . .».

فهمت انه لم يكن ليلفظ هذه الكلمة عبثاً. ولكنها طالما تمنت ان تسمعها منه.

«اتحبني؟» الحت وكأنها تحاول ارغامه على الموافقة.

«احبك كثيراً» اجابها بحذر ولكن بالنسبة لاليسا، كان هذا اكثر من اعتراف.

«اتحبني لدرجة الزواج مني؟» سألته بسرعة وهي تمسك يده كالطفل الذي يرغب بلفت الانتباه اليه.

«ماذا؟».

«اذا كنت تحبني . . .».

«هيا، اليسا، انا لا . . .».

«انت لا . . . ماذا؟ لقد قلت بأنك تحبني! الا يكفي هذا؟».

«بلى . . . ولكن . . .».

«وانا احبك» اعترفت بخجل.

«احبك منذ اليوم الأول».

«اوه اليسا . . .».

«عمتي تريدني ان اتزوج».

«اشعر بأنني لا اشبه الزوج الذي تريده عمتك لك».

«لكنك انت من اختاره قلبي».

«ولكننا بالكاد نعرف بعضنا!».

«نعرف اننا نحب بعضنا» وانتظرت لحظات طويلة قبل ان تضيف.

«اليس كذلك؟».

فتح ديف فمه ثم عاد واقفله دون ان يقول كلمة تريح اليسا، وظل سؤالها في عينيها الى ان ابتسم بتردد وقلق:

«ايه . . . نعم».

«اتحب ماغدا؟».

«لا!».

«لن اكون متزمتة. اعتقد ان المتزوجين يجب ان

www.elromancia.com

يحتفظوا بحرياتهم انا متمسكة بحريتي. واعلم اننا معتادان على نمطين مختلفين من الحياة، ولكن هذا ليس مهماً! لقد مللت وجودي، واحب ان اعيش نمط حياتك... انا لست... انت تعرف... لن انتظر ان تقضي كل حياتك بقربي. ستكون حراً كما انت انت. تقريباً».

سكتت ودهشت كثيراً عندما رأت احمرار وجهه.

«وكذلك الأمر بالنسبة لفنك». اضافت بعد ان عاد وجهه الى طبيعته.

«بامكانك السفر، وامتلاك مشغل خاص بك، كل ما تريده...».

«لست بحاجة لكل هذا الكلام». قال بحدة وادار وجهه.

ترددت اليسا قليلاً، ثم سألته بصوت ضعيف كي لا تجرح كبريائه.

«هل المال هو الذي يخيفك؟».

«لا، ابداً».

«ماذا اذاً؟ اذا لم يكن المال، ولا خوفك على حريتك، ولا فقدان الحب...».

فنظر اليها ببرودة.

«هل انت متأكد انك تحبني؟» سألته بإلحاح.

«نعم. انا احبك»... ثم سكت وفكر من جديد واضاف: «نعم احبك اليسا».

«اذاً لماذا لا تريد الزواج مني؟».

«اشرحي لي بهدوء، ماذا سيحمل لك الزواج؟».

«انت» اجابته ببساطة فاحمر وجهه من جديد.

«اذا ايضاً؟» فكرت الفتاة لحظة ثم اجابته:

«حسناً... منزل خاص بي، بنا حيث يمكنني ان افعل كل ما اريد سيكون بامكاني متابعة علومي كي احصل على الدبلوم سأكون حرة، اخيراً! بواسطة مالي، سأحقق كل ما كنت احلم به منذ سنوات. واكثر من ذلك، ستكون صديقي و...».

«وعشيقك؟».

الصور التي تزاحمت في رأسها، جعلت قلبها يدق بسرعة، ولم تستطع ان تنظر اليه. فهزت رأسها.

«انت متأكدة من انك تريدين الزواج مني؟» سألها بلطف وهو يرفع وجهها نحوه.

«نعم وانت؟».

«آه، نعم!» وانحنى وتناول شفتيها في قبلة حارة طويلة.

عندما وصلت اليسا الى المنزل بدأت سعادتها تتحول لحالة من التوتر الشديد. ووجود سيارة جاكلين وفيكتور امام المنزل زادت من توترها. وتذكرت فجأة، ان اختها وزوجها سيتناولان العشاء عندهم هذا المساء. فجمعت شجاعتها وقالت لنفسها، هذا افضل.

وبما انها كانت قد تأخرت، اسرعت الى غرفتها وبدلت ملابسها قبل ان تنزل الى الصالون حيث يشرب الجميع كأساً قبل العشاء. وعندما دخلت، التفت الجميع نحوها.

«آه اليسا، !! واخيراً عدت؟» قالت عمتها بجفاف.

نهض فيكتور لويس بأدب، وكان طويلاً سميناً في

www.elromancia.com

الأربعين من عمره، عيونه زرقاء فاتحة ووجهه المستدير لم يكن يعجب اليسا. وشخصيته تشبه منظره. ثقيل الدم، متطفل وكانت اليسا تحاول ان تكون لطيفة معه، لكنه كان دائماً يثير سخطها. والشيء الوحيد الحسن فيه، هو انه كان يعبد جاكلين.

-٧-

قبلت فيكتور على خده واتجهت نحو اختها وقبلتها. وكانت جاكلين رائعة كعادتها وترتدي ثوباً اسوداً يتناسب مع بياض بشرتها.

«مساء الخير، اليسا. ما الذي اخرك؟» سألتها اختها.

«سأخبركم الآن». وسلمت على عمتها التي ظلت جالسة.

«ماذا تقصدين، اليسا؟» سألتها عمتها بجفاف.

تراجعت اليسا وكتفت يديها ونقلت نظرها بينهم ثم قالت.

«سأتزوج».

ساد الصمت فجأة، وشحب وجه العمة وتشنجت يداها على ذراع الكنبة. بينما تبادل فيكتور وجاكلين النظرات.

www.elromancia.com

ومرت لحظات لم ينطق احد منهم كلمة، وكلهم ينظرون الى الفتاة كأنهم يرونها للمرة الأولى.

«ما هذه القصة؟» سألتها العمة.

امام هذا الصوت الحاد، نسيت اليسا كل هدوئها.

«سأتزوج. هذا كل ما في الأمر، وهذا الشهر بالتحديد وهكذا يصبح بامكانكم السفر الى الانتيل بدوني».

«ولكن ممن ستتزوجين؟» صرخت جاكلين.

«من تعرفين كي تتزوجيه بهذه السرعة؟».

«منذ شهر وهو يرسم لوحة لي، انه ديفرو رافرتي».

«منذ شهر! اتعرفينه منذ شهر فقط؟» سألتها جاكلين بدهشة.

«كنت اعرفه من قبل. تعرفت اليه يوم افتتاح معرضه». اجابتها اليسا بشجاعة وازعجها اضطرارها للكذب.

«من يكون هذا الرجل؟» سألتها عمتها بسخرية وهي تلتفت نحو فيكتور الذي فتح ذراعيه مشيراً الى جهله التام.

«سأقول لك، انه يدعى...».

«من عائلته؟ من اين جاء؟ نحن لا نعرف شيئا عنه؟» صرخت العمة غاضبة.

«لكن انا اعرفه». قالت اليسا محاولة ان تتكلم بهدوء ولكن بحزم.

«انه رجل مهم، في الثالثة والثلاثين من عمره اي انه يكبرني بعشرة اعوام، وفيكتور يكبر جاكلين بأربعة عشرة عاماً».

«لكن فيكتور ليس شخصاً مجهولاً». اجابتها جاكلين

وهي تنظر الى زوجها.

«ولا ديف ايضاً! انا اعرفه جيداً، والديه كانا محترمين. ولكن ما يهمكم انه ليس غنياً. انتم على حق! ولكنه ليس ممن يركضون خلف الفتيات الثريات! حتى انه لم يكن يريد الزواج مني في البداية!».

«رائع!» صرخت عمتها وهي ترفع يديها. فحاولت اليسا ان تقوم بمحاولة اخيرة.

«انه يحبني، ولكنه لم يكن يريد الزواج مني... لأنه يعرف كيف ستكون ردة فعل الناس».

«يبدو لي انه وفر عليه هذه الأشياء». قال فيكتور بسخرية.

«لقد اقنعته!».

كان من الصعب على اليسا ان تبقى هادئة بينما هم يتكلمون هكذا عن ديف، ورغبت من ان تصرخ في وجههم وتقول بأنه أفضل منهم، ولكنها لم تشأ ان يحرموها من ميراثها. فشدت على قبضتي يديها كي تحافظ على برودة اعصابها.

«اذا كان شريفاً وفوق مستوى الشبهات، لماذا لم يعرفنا بنفسه؟ ولماذا ليس هو هنا الآن؟».

«اليوم فقط اتفقنا على الزواج، وادركنا اننا نتبادل حبا قوياً. كان يريد ان يرافقني، ولكنني انا رفضت. كنت اعلم كيف سيكون موقفكم!».

«وهذا يدهشك؟ حتى اننا كنا نجهل بأنه يرسمك!».

صرخت جاكلين، وهز فكتور رأسه وكأن هذا هو كل ما

يهمه من المسألة.

«هذه اللوحة كنت سأقدمها هدية لعمتي بعيد ميلادها. كنت سأجعلها مفاجأة».

«لا»، قالت عمتها غاضبة.

«لا هذه ليست مفاجأة، كنت دائماً اعلم بأنك ستفعلين هذا بي. آه، لا يمكنني ان اتحمل النظر اليك؟!».

بدت الصدمة على وجه فيكتور وجاكلين وتبادلا النظرات، بينما شحب وجه اليسا، وركضت الى غرفتها حيث رمت نفسها على السرير واجهشت بالبكاء.

اخفت وجهها بيديها وتذكرت المشهد الذي دار بينها وبين عائلتها. لا، لن تسمح لهم بتحطيم سعادتها لأنها ستتزوج من ديف.

انها لم تتلق منهم اي حنان ولا حب. وفكرت بديف الذي تحبه وتعبده. انه ذكي وموهوب، وجميل ايضاً! ويحبهاهي، اليسا!.

في صباح اليوم التالي، نزلت عمتها باكراً الى غرفة الطعام، وكانت شاحبة ويبدو عليها انها لم تذق طعم النوم. فتأملت الطعام دون ان تلمسه، واكتفت بفنجان قهوة.

«انت تفكرين جدياً بالزواج من هذا الرجل؟» سألتها بعد صمت طويل بينما كانت اليسا تتناول آخر لقمة من فطورها.

هزت اليسا رأسها دون ان تجرؤ على النظر الى عمتها.

«اذا يجب عليك ان تصطحبيه الينا وتقدميه بشكل

رسمي، الا تعتقدين ذلك؟ وهكذا نتمكن من تكوين صورة واضحة عنه. بامكانك ان تطلبي من الطاهية ان تعد عشاءً مناسباً. سنكون بانتظاره يوم الجمعة».

اجابتها الفتاة بانحناءة من رأسها، ولم تجرؤ على معارضة عمتها بينما هي تحاول ان تكون متفهمة. كانت اليسا تتوقع منها نقاشاً حاداً، كأن تقول لها: «اذهبي لا اعرفك». وارتياحها فاجأها. هل كان رأي عائلتها يهمها لهذه الدرجة؟.

«اية اجراءات ستتخذان» سألتها عمتها.

«لم تفكر بعد بهذه الأشياء».

«سأكون سعيدة بتقديم النصح لك» سخرية هذه الكلمات جعلت الفتاة تحمر خجلاً.

«شكراً».

«انا متأكدة ان . . . رافرتي هذا لديه افكاره الخاصة».

شيء ما في صوتها اقلق الفتاة، وكذلك تعابير الشفقة التي ظهرت في عيون العمة.

خلال عطلة نهاية الأسبوع، بدأ ديف واليسا يبحثان عن منزل لهما. وجدت اليسا سعادة كبيرة من زيارة المنازل الخالية معه والاستماع الى آرائه ونكاته.

كانت لا تزال تشعر بحالة من الصدمة، وكثيراً ما تساءلت اذا كانت هي وديف يبدوان ثنائياً مناسباً. انهما لا يعرفان بعضهما جيداً. فكرت بينما كان ديف يتجول في احدى الغرف مجاولاً ان يتخيلها وقد تحولت الى مرسم. ثم قالت لنفسها بسرعة انهما يعرفان ما هما بحاجة له،

والباقي كله لا يهم.

وبعد ظهر يوم الأحد، وجد منزلهما بعد ان كانت اليسا قد بدأت تفقد الأمل. قلما كان يهمها كيف سيكون المنزل طالما ان ديف يجده مناسباً، كان كل ما يهمه ان يكون المنزل منيراً وتدخله اشعة الشمس باستمرار.

كان شرط اليسا الأول ان يكون له حديقة واسطبل. وكان هذا المنزل واسعاً تحيط به حديقة في وسطها حوض سباحة. ويتألف من طابقين وعدة غرف وتدخله اشعة الشمس من كل الجهات، واختار ديف الطابق العلوي ليكون مرسماً له.

وبعد الديكور والأثاث سيكون مناسباً لاستقبالهما بعد رحلة شهر العسل.

وقعا على الأوراق الضرورية، ثم ذهبا لتناول العشاء معاً.

«ديف..».

«ماذا يا عزيزتي؟».

«هل ستكون حراً مساء الجمعة؟».

«بالتأكيد!».

«ترغب عمتي اليزابيت بالتعرف عليك لتعرف مشاريعنا حول الزواج...» واحست الفتاة بأن فكره بعيد جداً.

«اين سنمضي شهر العسل...».

«الى اين تودين انت الذهاب؟» سألها وهو ينظر الى يديها المرتجفتين.

«انك انت الخبير».

«بماذا؟» سألها بمكر.

فنظرت اليه بتحد وضحكت مع انها كانت تخشى ان يكون يسخر منها.

«لم يفت الأوان بعد لنغير رأينا».

«اتريد ذلك؟».

«لا».

عاد قلب اليسا للحياة، بعد ان توقف للحظة عن النبض.

«ولا انا ايضاً، على كل حال افضل ان نذهب الى مكان يطل على البحر».

«اليس هناك اي شاطىء معين؟» سألها ضاحكاً.

«فرنسا؟ هاواي؟».

«هاواي».

«لم يسبق ان ذهبت الى هناك لابد انها جزيرة مثيرة».

في الأسبوع التالي، اعلنت خطوبتهما في حفل كبير. ووكل الطبقة الراقية وافقت رغماً عنها وأرسلت الهدايا. في وسط ديف، شعرت اليسا ببعض العداء والكره. وكانت ردات فعل محيطهما متحفظة. ففضلت اليسا ان يقيما حفل زواج ضيق. وتركها ديف تتخذ كل الاجراءات. واصبح الآن يبدو منجرفاً مع الأحداث اكثر منه مشتركاً فيها. لم تغضب اليسا. لأنها لم تكن تتخيل ديف وهو يختار الفضيات او ما شابه ذلك. لكنها تفاجأت بموقفه منها. فمع انهما مخطوبان منذ اسبوع، فإن قبلاتهما كانت خاطفة وتصرفه متحفظ.

في يوم زفافهما، كانت الشمس مشرقة، ولا اثر للغيوم في السماء، ارتدت اليسا ملابسها بمساعدة شقيقتها وشعرت بانقباض في معدتها واخذت يداها ترتجفان، ونظرت الى نفسها في المرآة وكانت تبدو رائعة في ثوبها الأبيض وبالفوال الذي يغطي وجهها.

أطرت جاكلين كثيراً على جمالها وشجعتها. وقطعا الطريق نحو الكنيسة بدقائق قليلة بالسيارة. وجاكلين لا تتوقف عن الثرثرة. بينما ظلت العمة اليزابيت عابسة متحفظة.

وبعد قليل، وجدت اليسا نفسها تسير نحو مذبح الكنيسة وتنظر في اعماق عيون ديف وتردد الامنيات... لقد تزوجت!.

كان الاحتفال بسيطا، فتلقت اليسا التهاني، ولم تكن عيونها ترى غير ديف. وكانت كلما التفتت نحوه تراه يتأملها بنظرات لا يمكن اختراقها. كان يبدو وهو يشرب الشمبانيا كالملائكة الحجرية في الكنائس، جميلاً ومتأملاً. وهذه المقارنة لم تعجبها ابداً.

شعرت بالراحة عندما اتجها الى المطار. الآن هي وحدها مع هذا الرجل الصامت الغريب فجأة. لم تكن تعرف ماذا تقول له. هذا شعور مخيف.

في الطائرة، شرب ديف كأساً وتظاهرت اليسا بالنوم وهي تتساءل ما الذي لا يسير على ما يرام.

سخيف جداً ان تخاف من ديف. لكنه لم يكن يشبه الرجل الذي كانت تعرفه، لقد كانا قريبين اكثر عندما كانا

مجرد اصدقاء. على الأقل، كانا يتكلمان اكثر. لقد تزوجت رجلاً غريباً تماماً. كانت تلك غلطة كبيرة.

لماذا لم تستمع لكلام عمتها؟ ماذا سيتكلمان خلال اسبوع طويل...؟ تزاحمت الأفكار في رأسها طوال رحلة الطيران.

وصلا اخيراً. وفي الطريق الى الفندق ظل ديف ايضاً على صمته.

وبعد ان صعدا الى جناحهما، ناول ديف الخادم البقشيش، واقفل الباب من الداخل ووقف خلفه ينظر الى اليسا التي كانت لا تزال واقفة محاطة بالحقائب والخوف باد على وجهها.

«اذاً، سيدة رافرتي؟» قال لها مبتسماً.

فرفعت رأسها عالياً، لا يجب ان ترتبك، انها لا تزال ابنة آل كرنغتون.

«نعم؟».

«اتريدين ان اطلب الطعام؟».

«لا، لا اعتقد انني قادرة على ابتلاع شيء. انا بحاجة لدوش» هز ديف رأسه، وتناول حقيبة ووضعها على السرير.

«في اية جهة تفضلين النوم؟» سألها بشكل بروتوكولي فاحمر وجهها فوراً.

«ايه... لا يهم».

«حسناً، سأنام انا في جهة الشمال». وبدأ يفرغ حقيبته بكل طبيعية. ففعلت اليسا مثله ثم اتجهت الى الحمام،

وتأخرت كثيراً في حمامها ثم ارتدت قميص النوم الساتان الذي اهدته لها جاكلين. وعندما عادت الى الغرفة كانت الشمس قد غابت، وديف جالس على الشرفة يتأمل المغيب وكان قد طلب كأسين من الويسكي.

بينما دخل ديف الى الحمام بدوره، جلست اليسا تشرب كأسها وتتنشق هواء المساء المنعش. وبعد لحظات افادها الكحول وشعرت ببعض الراحة بعد تعب النهار الجسدي والنفسي. وبدأت تتمنى لو ديف يسرع. يبدو لها انها قضت نصف حياتها على هذه الشرفة تستمع الى الموسيقى البعيدة التي تصل الى اذنيها من بار الفندق.

وأخيراً سمعت باب الحمام يفتح. ثم سمعت وقع خطواته على الموكيت. وعندما احست بوجوده قربها، اخذ قلبها يدق بسرعة جنونية، وجف حلقها عندما انحنى يقبل كتفها العاري. وشمت رائحة عطر الصابون وكان شعره لا يزال رطباً. ارتعشت اليسا عندما لامس عنقها بشفتيه. لم تكن ترى سوى ظله في الظلام، ولكن ملامسته كانت حقيقية تقطع انفاسها. فأغمضت عينيها. انها لم تعد تملك زمام نفسها، وهمس ديف فجأة.

«اليسا؟».

-٨-

ارتعشت الفتاة وأدارت رأسها بقوة، وسرعان ما التقت شفاههما في قبلة مليئة بالرغبة، وأحست بأن قلبها سينفجر، فالتصقت به اكثر. واحاط ديف جسدها بذراعيه، وبدون ان تشعر رفعت يديها واحاطت عنق زوجها. فحملها الى داخل الغرفة دون ان يبعد شفتيه عن شفتيها، وكان ضوء القمر ينير الغرفة، كأنك امام مشهد عاطفي سينمائي مثير.

وضعها ديف بهدوء على السرير وتمدد بقربها. فشعرت اليسا بالامتنان لأنه لم يشعل النور، لأنها كانت تخاف ان تنظر اليه، كانت ترتعش وجسدها يحترق.

الخوف والرغبة... هذا شعورها، ان زوجها يتصرف باطمئنان الخبير بأمور النساء! وبكل رقة، عراها من

www.elromancia.com

ملابسها دون ان يزعجهالظلام.

«ايجب ان نخلع كل ملابسنا؟» سألته بهمس.

للحظة توقف ديف، ومن ثم اسند رأسه على ذراعها واخذ يضحك.

«ديف... ديف، ما الذي يضحك؟».

«انت». واخذ يتأملها بصمت. وحاولت هي ان تفهم.

«ديف، ماذا يجب ان افعل؟».

«لا شيء!» وتنهد ضاحكاً.

لم تكن اليسا قد فكرت كثيراً بليلة عرسها. للحقيقة كانت هذه الفكرة ترعبها. لأنها كانت تعلم بأنه سيأتي يوم يكتشف زوجها انها لا تزال عذراء. ولكنها لم تكن تتخيل ان الضحك سيغلب على ديف....

تناول ديف يدها وداعب راحتها بلطف بشفتيه.

«اليسا، انت تعلمين، انا لا استحق كل هذا».

«ماذا؟» سألته ببراءة.

«لا استحق كل هذه البراءة». وارتفعت يده الى عنقها.

«انت لا تزالين صغيرة...» وانحنى يقبلها. واحست بثقل جسده. وخافت ان يزعجه جهلها بأمور الحب. ورغم خوفها الشديد، استطاع ديف ان يجعلها تنسى كل شيء وتستسلم لقبلاته ولمساته حتى اشعل كل كيانها.

وعندما اصبحا جسداً واحداً، احست بصدمة مزدوجة، الألم والنشوة. لقد زالت كل الحواجز واصبحت ملكاً له.

تمدد ديف بقربها وهو لا يزال يلهث، وكانت تستمع الى دقات قلبه بوضوح. مهما كان الأمر، فإنه كان سعيداً معها

ايضا، فداعبت صدره بسعادة، لم يسبق لها ان شعرت بهذا القرب من انسان آخر. وتمنت لو تدوم سعادتها للأبد.

«هل آلمتك، اليسا؟ سامحيني...» وضمها الى صدره وقبلها بحنان.

«هل هذا طبيعي؟».

«بالتأكيد، سترين في المرة القادمة، سيكون الأمر افضل» وداعبت يداه شعرها بحب وحنان.

بعد دقائق، فهمت من انفاسه المنتظمة انه نام، فشعرت بالوحدة وبدت لها هذه الغرفة غريبة. فخبأت وجهها بصدره ونامت.

استيقظت في اليوم التالي على مشاعر غريبة. وكانت لا تزال نصف نائمة، فاعترضت بضعف. لكن ديف اسكتها بقبلة الى ان فقدت كل قدرة على المقاومة.

وفجأة توقف، واخذ يراقبها. فمدت ذراعيها نحوه.

«لا، ليس الآن».

ان لمسات يديه تجعلها تفقد عقلها. فنظرت اليه بتوسل وضمته اليها وشعرت بالراحة عندما تركها تفعل، واستقبل شفتيها المرتجفتين. وخنق انفاسها. كانت تشعر بازدياد النشوة. وكأن الليل اتصل بالنهار ولا يزالان ينجرفان مع تيار عواطفهما وهمسات ديف بأذنها تثملها وتحملها الى عالم آخر.

واخيراً، وعندما عادت انفاسهما لصبيعتها وضمها اليه بحنان، فهمت اليسا معنى الحب الحقيقي.

ظلت متكاسلة في فراشها، وسمعت غناء ديف المرح من الحمام، فتنهدت وتمطت واسندت رأسها من جديد على الوسادة.

«هل ستبقين نائمة؟ ليس لدينا سوى اسبوع واحد». قال لها ممازحاً.

«اتريد ان اطلب الفطور؟» ومدت يدها نحو الهاتف.

«أتقصدين الغداء، الساعة الآن الثانية عشرة؟!!».

والتقت نظراتهما طويلاً، وكان ديف هو اول من ابعد نظره.

«هيا انهضي! لننزل الى الشاطىء قبل مغيب الشمس».

«وماذا يحصل اذا غابت الشمس؟» سألته بدلال ومكر.

فنظر اليها متظاهراً بالغضب وعاد الى الحمام. فضحكت اليسا، ورمت الغطاء عنها وبحثت بين ملابسها عن مايوه السباحة، واخيراً. وضعت بعض المكياج الخفيف على وجهها. وهذا التغيير اعجبها كثيراً، كما وان ديف اطرى على جمالها باعجاب شديد.

عبرت بهو الفندق متأبطة ذراع زوجها، ثم اتجهت نحو الشاطىء وهي تشعر بثقة بالنفس جديدة، ودون ان تلاحظ نفسها، كانت تسير عالية الرأس وتتلقى نظرات المارة بدون خجل.

هذا مفاجىء، قالت لنفسها، نهار واحد، وليلة واحدة من الزواج احدثت الكثير.

حتى في هذا الموسم، كانت هاواي رائعة، دافئة ومشمسة، والسماء والمحيط يذوبان بزرقة واحدة.

ابتعد الزوجان السعيدان وبحثا عن شاطىء خال على طول الساحل. فاكتشفا شاطئاً رملياً قرب اشجار النخيل الباسقة، وحيث تنتشر الصخور البيضاء متباعدة، فبسطا منشفتيهما وتمددا قليلاً.

وبينما كان ديف يدهن ظهرها وكتفيها بكريم الشمس المكون من زيت جوز الهند، اخذت اليسا تقرأ بصوت مرتفع الدليل السياحي الذي حصلت عليه من مكتب الاستقبال من الفندق.

«اتعلم، ان الحيوان الثديي الوحيد في الجزر كان هو الوطواط؟».

«لا...».

«ويوجد تسعمئة نوع من النباتات المزهرة من بينها ثلاثمئة نوع من الأشجار، يجب ان نزور حدائق ومشاتل الجزيرة طالما اننا هنا».

«كم يبلغ عدد النباتات المزهرة في انكلترا».

«ليس لدي اية فكرة».

«اذاً لماذا تعتقدين ان عدد تسعمائة هو عدد كبير؟».

«لست ادري، اعتقدت فقط انه عدد كبير».

«ايحتوي هذا الكتيب على معلومات مفيدة حقاً؟» سألها ممازحاً وهو يناولها انبوب الكريم «مثلاً، افضل المطاعم؟».

«لدي دليل آخر حول هذا الموضوع...» ثم وضعت الكتيب من يدها. وسكبت القليل من الكريم على راحة يدها. وببطء، اخذت تدهن ظهر ديف الجالس امامها.

كان لا يزال يرتدي بنطلونه الجينز، فشعرت ببعض الأرتباك امامه وبأنها ليست صورة عن الزوجة الحقيقية. وشيئاً فشيئاً عادت اليها الابتسامة. مهما كان الأمر، انها زوجته، وهي من يفرك له ظهره الآن! ثم وقفت على ركبتيها لتدهن له صدره. وتأخرت يداها على صدره، ولاحظت بطرف عينيها ارتعاشة شفتيه.

نام ديف تحت اشعة الشمس، فاغتنمت الفرصة لتقرأ الدليل.

وبين الحين والآخر، كانت تتأمله بسعادة كبيرة، وعندما شعرا بازدياد الحر، نزلا الى المياه وهما يركضان بمرح بين الأمواج.

وبعد ان تعبا من السباحة واللعب بالمياه، عادا وتمددا على منشفتيهما.

مرت فترة بعد الظهر بسرعة. وحان الوقت ليعودا الى الفندق كي يبدلا ملابسهما قبل موعد العشاء.

خرجت اليسا من الحمام فوجدت ديف قد طلب شراباً منعشاً، فشربت كوبها وهي تجفف شعرها. واخيراً وضعت خلف اذنها زهرة اوركيديا كان ديف قد اشتراها عند عودتهما من الشاطىء وتأملت نفسها في المرآة وقررت ان تكون دائماً انيقة وجميلة كي يفخر بها زوجها.

ونزلا الى بار الفندق حيث كانت تقام حفلة غنائية راقصة مسلية. ومع ان اليسا شربت اكثر من عادتها الا انها كانت تتأمل الحفلة بسعادة من خلال ضباب الدخان والكحول والحب. ومع ذلك كانت واعية لزوجها. كانت ترى كل

السهرة من عيونه، كانت تضحك عندما يضحك. وتصفق عندما يصفق. ودهشت من قدرتها على البقاء هنا، بينما كل اعصابها تهتز وتنتظر وحدتهما بفارغ الصبر. وكانت دقات الطبول ترن على نفس انغام نبضات قلبها. عندما نظر اليها ديف بطرف عينه في آخر وقت الاحتفال، لمح الشوق والرغبة في عيونها. وبدون اي تردد جمع حاجاتهما وجذبها وسط المحتفلين ووضع يده تحت ذراعها. وعندما اصبحا وحدهما في المصعد، ابتسم لها بمكر.

«اية فتاة مغرمة تزوجت!».

«عمتي اليزابيت ستصدم كثيراً اذا علمت بذلك». اجابته ضاحكة.

في صباح اليوم التالي، استيقظا باكراً، وبعد تناول الفطور، اقترحت عليه اليسا ان تنزل الى السوق بينما يقضي هو نهاره على الشاطىء.

وشعرت بسعادة كبيرة عندما الح على مرافقتها. فزارا ارقى محلات الأزياء، وتفاجأت اليسا بذوق زوجها والمامه بالموديلات والألوان، وكان كل ما يهمها هو ان تحظى باعجابه.

وقبل ان [illegible] جولتهما كانت اليسا قد اختارت بمساعدته قمصان ملونة وبعض التحف والأصداف الصغيرة. وبعض الأزهار الاصطناعية الرائعة الألوان.

ثم دخلا الى محل لبيع فساتين السهرة، واختارت اليسا بين ثلاثة اثواب: الأول من الموسلين الأسود العاري الظهر، وآخر ازرق عاري الكتفين، وثوب مذهب طويل،

لم تكن معتادة على هذه الموديلات ومع ذلك، اشترتها كلها وفضلتها على الأثواب التي اشترتها بمساعدة اختها جاكلين من اجل جهازها.

لكنها اعترضت كثيراً عندما اقترح عليها ديف مايوهاً بيكيني اسود وآخر احمر.

«احمر؟ لا يمكنني ارتداء الأحمر ابداً».

«لا تكوني سخيفة». اجابها ديف بحدة.

احمر وجه اليسا بحضور البائعة. لأنها كانت تعلم بأن هذا اطراء منه.

-٩٠-

وفي غرفة القياس، اقتنعت بأن هذا المايوه يظهر جمال جسدها ورشاقته، وكان اللون مناسباً جداً للون بشرتها وشعرها. لكنها رفضت ان تخرج به من غرفة الملابس. وسر ديف كثيراً عندما قررت شراءه.

ولكن عندما قالت له بمرح ان دوره قد حان، رفض بشدة وقال بأنه لا يريد شيئاً.

«ولكني اريدك ان تختار شيئاً لنفسك!» الحت الفتاة بتسلط آل كريغتون. «لقد اشتريت انا الكثير لنفسي، هذا ليس عدلاً».

«افضل ان لا». اجابها دون ان ينظر اليها.

«اتمنى ان لا يكون رفضك بسبب المال؟ ديف، ان كل ما املكه هو لك ايضاً؟».

www.elromancia.com

«لا».

«ايها... الغبي!» صرخت اليسا: «بالتأكيد بلى! ولدي اوراق تثبت ذلك! هيا، ديف، لا تقلق بالنسبة لما يعتبره الناس امراً طبيعياً».

«لا يهمني ما يقوله ويفكر به الآخرون». قال بحدة: «باستثنائك انت طبعاً».

«حسناً. انا اعرف بأنك بحاجة لملابس جديدة

«ابتسم ديف بحنان وهز رأسه بحزم.

«قلت لا».

«ولكنني مصرة على ان اشتري لك شيئاً».

«اذاً، قدمي لي نظارات شمسية، لأن نظاراتي انكسرت».

اشتريا النظارات وتناولا الغداء في مطعم ياباني بجانب حوض مليء بالأسماك وتخدم فيه فتيات ترتدين الزي الياباني. فضلت اليسا ان تنسى نقاشهما الصغير حول موضوع المال لأنها كانت تعلم ان العناد لا ينفع مع ديف، لم تكن تفهم موقفه، لكنها املت في ان يغيره مع الوقت. فهما لا يمكنهما ان يقضيا ما تبقى من عمرهما وكل واحد يفتح حساباً منفصلاً في البنك

باستثناء موضوع المال، اصبحت اليسا ترتاح اكثر مع ديف وتشعر بالألفة تكبر بينهما. وأدركت انه صاحب مزاج متقلب كبقية الفنانين. وان هذه التقلبات المزاجية لا تعنيها وتمسها بشكل شخصي. على كل حال هي ليست دائمة.

مر الوقت بسرعة، بأيامه المشمسة، وليالية المخملية،

كل يوم كانا يكتشفان اشياء جديدة! قاما بجولة فوق الجزر بالهيليكوبتر. وقاما برحلة بالسيارة الى هاليكالا: وزارا منزل الشمس في ماوي.

وتمتعا بمنظر الصيادين وبالغطس في المياه المنعشة والتمدد تحت اشعة الشمس على الرمال الدافئة، كما زارا المتاحف والحدائق العامة.

اشترت اليسا آلة تصوير لتقدمها هدية لديف، لكنها كانت تعرف رأيه وتحفظه فغيرت رأيها في الدقيقة الأخيرة، والتقطا مئات الصور. وديف يختار لها اوضاعاً فنية. وكانت اليسا تصور كل ما يقع عليه نظرها، وخاصة زوجها.

وكما كان في النهار متسامحاً ومرحاً وصبوراً ويجعلها تدرك ان هناك اشياء كثيرة لتتعلمها. كذلك كان في الليل زوجاً محباً ومليئاً بالحنان «انها تعجبه». قالت لنفسها بسعادة كبيرة.

في مساء اليوم الأخير من رحلة شهر العسل، حاولت اليسا ان تقوم هي بالخطوات الأولى، فأخذت تداعب صدره وذراعيه بتردد وعندما لاحظت دهشته توقفت ورفعت يدها عنه.

«تابعي، ارجوك».

انه شعور لذيذ وجديد، ان تلمسه وتضمه بين ذراعيها وتعلم بأنها تثير رغباته، هذا يمنحها شعوراً من القوة، ولكن وفي غمرة اتحادهما، لم يكن هناك فرق بين قوة مشاعرهما، كانت كل ليلة تبدو اروع من سابقتها. ولكن بقي قليل من الشعور بعدم الأمان في اعماق قلب اليسا. لو

انها لم تكن تعلم بأنه كان لديه عشيقة، لكان بامكانها اقناع نفسها بأن الأمر بنفس الروعة بالنسبة له كما بالنسبة لها، وهذه الليلة الأخيرة، سألته بصوت منخفض:

«ديف... كيف تقارن هذا؟».

«مممم؟» كان يبدو نائماً، هذا يحصل معه دائماً بعد ممارسة الحب.

«كيف تقارن هذا مع... النساء الأخريات اللواتي تعرفت عليهن من قبل؟».

«انه مختلف» اجابها بهدوء.

«افضل ام اسوأ؟».

«لم افكر بذلك، ولكن معك انت، كل شيء جديد... ان يشبه الموت والولادة من جديد، انت تجعلينني اشعر... لست ادري...».

ابتسمت اليسا في الظلام بسعادة، ثم قبلت زوجها بعنقه ونامت.

عادا من هاواي وقد لوحت الشمس بشرتهما، والاشراق على وجهيهما، توجها فوراً الى منزلهما، وكانت النوافذ مضاءة وكأنها ترحب بهما. فامتلأ قلب اليسا بالفرح ونسيت كل تعب السفر. انها في منزلها، ولأول مرة تشعر بمعنى الاستقلالية.

وبعد ان ادخلا حقائبهما واجابا على اسئلة السيدة لارك مدبرة منزلهما قبل رحيلها، قاما بجولة في المنزل. كان كل شيء جاهز لهما. المطبخ مليء بالتموين. والطعام جاهزاً. وقد وصلت آخر المفروشات وطاولة غرفة الجلوس مليئة

بالهدايا التي ارسلها الأصدقاء بمناسبة زواجهما.

اتجها بعد ذلك الى الأسطبل، حيث قدمت اليسا لزوجها هدية الزفاف. وتأملت فرحته وهو يتفحص فرسه الرمادي، ثم لاحظت ابتسامته الكبيرة، فأدارت وجهها وتركته يداعب الفرس.

شيء ما في جو انكلترا، يجعلها تقلق من تصرفاتها. ديف ايضاً كان هادئاً واكثر شروداً. فتمنت اليسا ان يكون هذا من تأثير تغير الأجواء وليس بسبب المنزل الذي كان يعجبه في البداية.

بالنسبة لها، لا يمكن للحياة ان تكون افضل: منزل جميل واسع، وحرية تامة، وديف الى جانبها.

عندما عادا الى المطبخ، شعرت اليسا بأنه قد بدأ يعتاد على المنزل. ففتحت زجاجة شمبانية بينما وضع ديف الطعام على النار. واخذ يشرح لها كيف يعد هو بنفسه مثل هذا الطبق من الدجاج. وكانت اليسا تستمع له وهي تتأمل وجهه الذي اصبح برونزياً وشعره النحاسي.

رفع ديف رأسه فجأة، فدق قلب اليسا بسرعة، والتقت نظراتهما للحظات ثم ادار كل واحد وجهه، واحست اليسا بالدم يسري بسرعة في عروقها.

بعد تناول الطعام، اخذا يفتحان الهدايا التي كانت كثيرة، ولم تدر اليسا ماذا تفعل بها كلها: اواني الطعام، اكواب الشاي الفضية، اواني من الكريستال، شرشف للطاولة ومحارم من الدانتيل، مزهريات من البورسلان المذهب... وكان اصدقاء ديف قد ارسلوا شراشف

حديثة، ونباتات خضراء وساعة حائط خشبية محفورة ولوحات.

فرق ديف الهدايا واخذ يتأملها بعين الناقد. ارتبكت اليسا ولم تستطع الكلام، كانت تتمنى ان تقول لزوجها بأنها لا تحب العيش كجاكلين وفيكتور، وانها ليست متطلبة ولا تهتم بالمظاهر الفاخرة. وانها لن تعترض اذا اراد ديف ان يفرش سريرها بالشرشف المقلم بالأبيض والأسود الذي ارسله احد اصدقائه. ولن تعارض اذا علق الساعة الخشبية في الصالون. كل ما يسعد ديف يسعدها.

وعندما صعدا اخيراً الى غرفتهما، كانت اعصابها قد اصبحت على حافة التوتر. واذا تغير كل شيء بينهما؟ واذا لم يعد يرغب بها؟ فسرحت شعرها ببطء، بينما كان هو يقطع الغرفة ذهاباً واياباً، ثم فتح احد الجوارير وعاد واغلقه بسرعة. كم هو نحيف في هذه البيجاما الزرقاء وصدره العاري، انكمشت يدها على قبضة الفرشاة، وخافت كثيراً من النوم. قد لا يكون يرغب بها الى جانبه. وتأملته وهو يرفع الغطاء ويدس نفسه في السرير.

«الن تأتي؟» سألها فجأة.

فاجتاحتها موجة من الفرح، ونهضت بسرعة واتجهت نحو السرير.

واخذ ديف يتأملها وهي تخلع قميص نومها وتطفىء النور. دست نفسها بجانبه وانتظرت بحذر.

لكن انتظارها لم يطل، لأنه سرعان ما ضمها اليه، فعقدت يديها حول عنقه وقدمت له شفتيها المرتجفتين.

قبلها ديف بحرارة، والتصق بها، وقلبها يدق بسرعة، واحست بقلبه يدق على نفس النغم.

استسلمت اليسا لرغبته بشوق كبير، واطمأنت وزالت مخاوفها وشكوكها، انها في منزلها، وبأمان.

لم تكن كلمة زواج تعني التسلية بالنسبة لاليسا، لكنها اكتشفت ان الحياة الزوجية تسلية كبيرة، خاصة ومع الرجل المناسب. تابعت علومها، تسجلت في نادي السلام لتتمرن على لعب السيف، وكانت تفعل كل ما يعجبها بموافقة ديف طبعاً.

لم يكن هناك شيء يغضبه في تصرفاتها. وكان يضحك منها عندما تعود متسخة من الأسطبل او عندما تكسر احد الأطباق، او عندما تنسى اعطاءه البريد او عندما تأكل البوظة في الصباح. لم يكن يلاحظ عيوبها الصغيرة التي كانت تفقد عمتها الزابيت واختها جاكلين صوابهما.

كانا متفقين دائماً، وحكمت اليسا على زواجهما بالنجاح.

لم يكن آل رافرتي يعرفان المشاجرات ولا الخصام. وتأكدت اليسا انهما سيستمران بتفاهمهما الى الأبد وستتمكن يوماً ما من فهم ديف تماماً. وكان لا يزال حساسا بالنسبة لموضوع المال. لكنه لم يكن يعترض على اي شيء ترغب هي بشرائه لها او للمنزل. ان موقفه هذا كذب مخاوف عائلتها.

في شهر نيسان، نجحت اليسا ٧٧ حاناتها. وانهى ديف لوحة جديدة لها علقها في الصالون. وكان قد بدأ يستعد

لمعرضه الجديد في صالات ماكسويل. ومرت الشهور وكانت اليسا تعرف انهما سيلتقيان بماغدا موريسون ذات يوم. وكان ديف قد التقى بماغدا عدة مرات. هذا لم يكن بالإمكان تجنبه طالما انهما ينتميان الى نفس الوسط الفني. وفي كل حفلة يدعيا اليها، كانت اليسا تتوقع مواجهتها. ولكن هذا لم يحصل، وبدأت اليسا تشعر بالاطمئنان، وتقنع نفسها بأن ماغدا تتجنبهما.

كان قد مضى اربعة شهور على زواجهما عندما وجدت اليسا نفسها وجهاً لوجه امام ماغدا في حفلة تشبه تلك الحفلة التي التقتا فيها للمرة الأولى، وكان ديف قد تركها لينكلم مع احد المدعوين جانباً. انتفضت اليسا ولم تستطع الكلام للوهلة الأولى.

«اوه... اليسا...» قالت ماغدا بجفاف.

«لقد تغيرت كثيراً، يبدو ان الزواج يناسبك...» وكانت تنظر اليها كالقطة التي تستعد للانقضاض على الفأرة.

«نعم، بالفعل»، اجابتها اليسا بحذر.

«انه يناسب ديف ايضاً». قالت ماغدا بسخرية.

«او بالأحرى، المال يناسبه اكثر...».

«ديف لم يتزوجني من اجل مالي» استمرت ماغدا بالابتسام بمرح مصطنع.

«ابداً» اصرت اليسا بحدة.

«ولكن لا يمكنه ان يكون مغرماً بنا نحن الاثنتين معاً».

«ديف لم يكن ابداً مغرماً بك. انتهى هذا الأمر، وقد رمى بك خارجاً!».

«نعم، ولكن ليس لأنه لم يكن يحبني... انه يحبني على طريقته الخاصة. ولكن هذا لا يكفيه، انه بحاجة ايضاً لمالك...».

«انا ارفض سماع المزيد». قاطعتها اليسا وحاولت الابتعاد، لكن ماغدا امسكت ذراعها بقوة.

«صدقيه اذا شئت، انا اتكلم من اجل صالحك انت!».

«ماذا؟».

«لا تكوني غبية. انا اعتدت جيداً على الوضع الحالي» اجابتها ماغدا بابتسامة ماكرة.

«ماذا تقصدين؟ اتقصدين ان ديف لا يزال يراك؟».

«حسناً، من الطبيعي ان نلتقي دائماً، انا متأكدة انه كان يقول لك، فهو يخرج كثيراً اليس كذلك؟ ليذهب لرؤية بعض الأصدقاء...».

ابعدت اليسا يدها عنها بحزم: «انا لست غبية، انت تريدين الثأر منا لأن ديف رماك خارجاً».

«ولماذا برأيك؟ نحن دائماً نتشاجر كالكلب والهرة. لماذا يطردني وقد كنا نعيش معاً منذ شهور؟ نحن نناسب بعض. معتادان على بعض. وكان يكفي ان تظهر الأنسة الثرية الصغيرة، حتى يرميني خارجاً؟ كانت الفرصة مناسبة جداً كي لا يثير شكوكك، الا تلاحظين ذلك؟».

«لقد طردك لأنك مزقت اللوحة».

«ظاهرياً، كان هذا التفسير الوحيد... لكنني مزقتها عندما اخبرني انه قرر الزواج منك... اساليه، انه لا يعرف الكذب». اضافت بسخرية.

«وهذه ليست من صفاتك ايضا» اجابتها اليسا باحتقار.

«صدقي من تشائين...» ونظرت الى خلف اليسا ثم قطعت كلامها وابتعدت.

التفتت اليسا فرأت زوجها يقترب. وقدم لها كأساً.

«ماذا كانت تريد؟» سألها بهدوء.

«ان تقدم لنا التهاني، على طريقتها». وحاولت ان تتمالك صوتها مع انها شعرت بأنها غير قادرة على النظر في عينيه.

«هم... اتريدين الذهاب؟» مع انها ترغب بذلك، لكنها تظاهرت بالدهشة.

«باكراً؟».

«اذا كنت تشعرين بالملل».

«لا لا...».

وتساءلت هل كان يخاف مما قد تكون قالته لها ماغدا؟ وانضم اليها بعض الأصدقاء، وردت على ابتساماتهم وعلى استئلتهم التي لم تكن حتى تسمعها. احست بهدوء غريب في داخلها. كانت بحاجة فقط لأن تكون وحيدة كي تتمكن من ترتيب افكارها. وخلال طريق العودة، سرت من صمت ديف. لم تكن ترغب بالكلام معه. واكتفت باختلاس النظر اليه وهو يقود السيارة. انه هو نفسه ولكنها تراه الآن من منظار آخر.

عندما وصلا الى المنزل، حاولت اليسا ان تبدو طبيعية، ولكنها لم تكن قادرة على مواجهة ديف. فصعدت قبله الى غرفة النوم، وخلعت ملابسها وتأملت السرير وانقبض

قلبها. ثم جلست امام المرآة تتأمل نفسها.

«انضم اليها ديف بعد قليل.

«هل قالت ماغدا لك شيئاً ازعجك؟» سألها بقلق.

«لا... لماذا؟».

«انت صامتة».

«لأنني متعبة». ورفعت رأسها والتقت نظراتها بنظرات ديف في المرآة، تأملها قليلاً بصمت ثم خلع ملابسه بهدوء. رمت اليسا الفرشاة من يدها ودست نفسها في السرير واطفأت النور. ففعل ديف مثلها وحاول ان يضمها بين ذراعيه.

«انا متعبة حقا». قالت له وادارت ظهرها.

فتركها فوراً، وقالت لنفسها بأنه قد يكون مريحاً بالنسبة له. لقد تركها بسرعة ولم يحاول مرة ثانية! يجب ان اسأله. قالت لنفسها بيأس، يجب الآن. انا اعرفها جيداً، فهي قادرة على القيام بأي شيء من اجل ايذائنا، اعلم بأنها كانت تكذب. واعلم بأنه يحبني، يجب ان اسأله. ومما اخاف؟.

لكنها لم تتحرك. وكان هو لا يزال مستيقظاً ايضاً. عرفت ذلك من انفاسه. ومع ذلك لم تسأله وقد مرت ساعة وكل منهما بعيد عن الأخر.

«هل نمت؟» سألها اخيراً.

لكن اليسا لم تجبه، وتظاهرت بالنوم، فتنهد ديف ونهض ووقف امام النافذة.

يجب ان أسأله، قالت في نفسها. لا يمكنني ان اعيش

بالشك، ولكن اذا كذب؟ واذا اعترف؟ لا، هذا مستحيل! ولكن يجب ان نعلم... ولكن ليس منه لأنه قد يتهمها بعدم الثقة به. وقد لا يغفر لها. وخافت من نظرات عمتها وشقيقتها وزوج شقيقتها... فحبست دموعها، وخافت من الرجوع الى الوراء. ولكن بماذا يفكر الآن؟ ايعاني من توبيخ الضمير؟ واخيراً نامت اليسا وديف لا يزال مستيقظاً.

في صباح اليوم التالي، كان لا يزال نائماً عندما استيقظت، فبدلت ملابسها بدون ضجة، ثم تأملت وجهه وملامحه الملائكية التي لا تثير الشبهات ثم خرجت. وكانت قد اتخذت قرارا خلال الليل في انه لا يجب ان يعلم احد شيئاً تجنّباً للفضائح. وأوقفت سيارتها امام اول غرفة هاتف للعموم في طريقها، وبعد ان تصفحت الدليل، سجلت عنوان احد التحريين الخاصين واتجهت الى مكتبه فوراً.

وبعد ان طلبت منه مراقبة تحركات زوجها، عادت الى المنزل، واخبرتها السيدة لارك ان السيد رافرتي في مشغله. فقررت ان لا تزعجه، وبدلت ملابسها ونزلت الى الأسطبل. فاذا رآها ديف من النافذة سيجد تصرفها غريباً لأنها لم تصعد لرؤيته، مع انها تفتقده... للحقيقة، لا يمكنها تجنبه طويلاً. فعاجلاً ام آجلاً ستضطر لمواجهته والأفضل ان لاتثير شكوكه.

وعندما عادت الى المنزل، اخبرتها السيدة لارك انه لا يزال في مشغله. لقد غابت الشمس وقل الضوء، ماذا يفعل حتى الآن؟ فطلبت من مدبرة المنزل ان تحمل له الشاي،

ولاحظت السيدة لارك ان شهر العسل انتهى حقاً.

لم تعرف اليسا كيف تشغل نفسها، فأمسكت رواية واخذت تقرأ بشرود. واخيراً نزل ديف، فتوقف قلبها فجأة وهي تراه يدخل ويتجه نحوها.

طبع قبلة خفيفة على رأسها وتمدد على الكنبة المواجهة وتأملها قليلاً.

«كيف كان نهارك؟ لم اسمعك عندما خرجت في الصباح».

«كان نهاراً جيداً، وانت؟».

هز كتفيه دون ان يرفع نظره عنها. لكنه لم يجب على سؤالها.

«ماذا تقرأين؟».

فرفعت الكتاب ليتمكن من رؤية عنوانه.

«مم، انه علمي».

«ومسل».

«غداً يجب ان اذهب الى المعرض، فالافتتاح سيكون يوم الخميس».

وكانت اليسا قد نسيت معرضه. ولكنه مناسبة لتغيبه عن المنزل وهكذا تتمكن من تجنبه.

وخلال العشاء، شرب ديف اكثر من عادته. ثم عادا الى غرفة الجلوس يشاهدان التلفزيون بصمت. وفي الساعة الحادية عشرة، نهض واطفأ التليفزيون فجأة.

«الن تصعدي؟».

«سأتبعك».

لكنها لم تصعد الا بعد ساعة، وفتحت الباب بهدوء، ونامت الى جانبه بصمت.

مر اسبوع وديف يخرج وهي نائمة ويعود في المساء وهي نائمة ايضاً. ولم تكن اليسا تعرف اذا كان ديف يفعل ذلك قصداً، ام انه مجرد صدفة. لكنها كانت متأكدة من ان زوجها يشك بأن هناك اشياء لا تسير على ما يرام.

وهي تفتقده كثيراً. وكان من الصعب عليها العيش هكذا وهي تعلم انه المسؤولة عن هذا الجو الملبد بينهما.

في نهاية الأسبوع، تلقت اليسا تقريراً من التحري، قرأته وهي ترتجف.. حتى الآن لم تكن قد فكرت بما ستفعله اذا كان ديف لا يزال يرى ماغدا. وشعرت براحة كبيرة عندما لم يثبت عليه شيء من هذا القبيل. وبنفس الوقت شعرت بالخجل. انه بريء! ولكنها تذكرت وعدها له بأنه سيحتفظ بحريته بعد الزواج. وتذكرت جوابه بأنه يحب ان تبقى حياته الخاصة ملكاً له.

مزقت اليسا الورقة وأحرقتها، وكادت تتصل بالتحري وتطلب منه التوقف عن مراقبة ديف. ولكنها غيرت رأيها اسبوع آخر وتتأكد اكثر.

في يوم الأربعاء التالي، يوم اجازة مدبرة المنزل، كانت اليسا تعد العشاء عندما سمعت باب الدخول يغلق بعنف. فشحب وجهها وتسمرت مكانها. واذ بديف يدخل بسرعة. ونظرة واحدة منها كانت كافية لتعلم بانه حصل امر خطير. كان ينظر اليها بحدة بعيونه المشتعلة بالغضب.

«الم تتلق تقريرك الأسبوعي بعد». صرخ قبل ان تتمكن

من الكلام.

«الم يكن بامكاني ان اعطيك كل التفاصيل عما افعله والى اين اذهب ومن اقابل».

لم يسبق لها ابداً ان سمعته يرفع صوته بهذا الشكل. فشعرت بالخوف، وجف حلقها وارتجفت ركبتاها. بينما كان ديف يرتجف ايضاً من الغضب واقترب منها بسرعة.

«كيف علمت؟» سألته متلعثمة.

«لقد اجبرت ذلك التحري على الاعتراف». قال وهو يرفع يديه وكأنه سيضربها.

«اوه»، صرخت برعب عندما رأت الدماء على اسنانه.

«كنت تعتقدين انني لن الاحظه وهو يتبعني؟ هل انا غبي لهذه الدرجة بنظرك؟».

«انا آسفة...».

كانت بالفعل آسفة، ليس بسبب هذه الحادثة العنيفة فقط، ولكن لأنها رأت من خلال عيونه انه لن يسامحها.

«آسفة؟» صرخ وهو ينظر اليها باحتقار. «كيف امكنك الوصول الى هذه الدرجة؟ ماذا تحاولين ان تكتشفي؟».

«كنت اعتقد انك لا تزال عشيقاً لماغدا».

تحول غضب ديف فجأة لدهشة كبيرة.

«ما غدا؟ اذا هي السبب في هذه الأسابيع من الجفاف والبرودة؟ كيف استطعت ان تفكري بذلك؟».

«هي قالت لي بنفسها. وقالت بانك لم تتزوجني الا من اجل مالي، وانك لا تزال عشيقها، كان يجب ان اعرف اذا كان هذا صحيحاً».

«كان بامكانك ان تسأليني».

لم تستطع اليسا الاجابة. فنظر اليها بحدة ثم ابتعد. لكن اليسا امسكت ذراعه.

«ديف، انا اعلم بأنك لم تعد عشيقها»، قالت له بحزن وتوسل.

«ولكن قل لي فقط بأنك تزوجتني لأنك كنت تحبني».

فنظر اليها مطولاً، وقرأت الجواب في عيونه. لكنها تذكرت ان ماغدا قالت لها انه كذاب فاشل.

«انا احبك». قال بهدوء: «وانت تعلمين ذلك».

«وهل كنت تحبني عندما تزوجتني؟» سألته وهي لا تزال تمسك ذراعه.

«اجب، ارجوك» الحت امام صمته.

«نعم، كنت احبك. وكيف كنت سأمنع نفسي؟ كنت فتاة صغيرة جميلة، وكان من الطبيعي ان احبك، ولكنني لم اكن مغرماً بك».

«آه، فهمت»، قالت بصوت مرتجف وادارت له ظهرها.

«لا، انت لم تفهمي شيئاً! ما دخل هذا باحساسي نحوك حاليا؟ بعد سفرنا الى هاواي تأكدت من حبي لك، واصبحت مغرماً بك».

«مغرماً بي؟ ام بنمط الحياة هذا؟».

«لو كان همي المال فقط، لما تزوجتك».

«حقا؟ ولو لم اكن املك المال، ولو لم اكن سوى فتاة جميلة بدون ثروة، هل كنت ستتزوجني؟» وشحب وجهها وتلألأت دموعها، فنظر اليها بصمت وتأثر.

«لا، ديف، لما كنت ستتزوجني».

«هذا ليس بسيطاً. انا لم اكن انوي ابدا الزواج منك. حاولت ان اشرح لك مشاعري. لكنك لم تكوني تريدين سماعي. كلما تكلمت كلما اصبح الوضع اكثر صعوبة. كنت رقيقة وضعيفة وبحاجة للحنان!».

«وثرية» اضافت بسخرية.

«انا لم اكن افكر ابداً بالمال في ذلك الوقت. كنت قلقاً عليك، لم اكن قادراً على جعلك تفهمين احساسي... اوه، يا الهي! لم اكن اعرف حتى حقيقة مشاعرك تحت هذا الوجه الطفولي! ثم انك اصريت... نعم، اعترف انني قلت لنفسي لما لا؟ كنت متأكداً بأنني سأكون متسامحاً معك ومع عائلتك، وبدا لي ان الصفقة عادلة، انت بحاجة ماسة للاهتمام والحنان. كنت مقتنعاً بأن هذه مسألة وقت فقط قبل ان ترمي بنفسك على رجل آخر، على الأقل، انا كنت احبك...».

كم كرهته، وغضبت اكثر لأنه عرف حقيقتها واشفق عليها.

كرهته اكثر من تلك الفتاة الوحيدة الساذجة المثيرة للشفقة واشمئزت منه.

«ليس هذا ما كنت اخطط له. لم ادرس المسألة، جاء كل شيء عفوياً. اسمعي، لقد اغرمت بك حقاً بعد الزواج. فهل يجب ان ادفع للأبد ثمن اندفاع عواطفي وسرعة تأثري؟».

«لماذا قطعت علاقتك بماغدا؟» سألته بجفاف.

«كان قد انتهى كل شيء بيننا منذ مدة طويلة، وتمزيق اللوحة كان النقطة التي افاضت الأناء. . . .».

«هذا مثير حقاً»، اجابته باحتقار، «ماغدا تؤكد انها مزقت اللوحة بعد ان امرتها انت بالرحيل، هل هذا صحيح؟».

«نعم».

«هذا يعني انها مزقت اللوحة بعد ان اخبرتها انت، وقبل بكثير مما فكرت بالأمر انا نفسي، عن نيتك بالزواج مني».

«هذا صحيح. . ولكنني لم اكن اتكلم جدياً معها!».

«الم تكن هذه الفكرة برأسك من قبل، ومنذ البداية؟ كنت ترى بأنني سأولع بك. وانني بحاجة للحنان كما تقول. الم تكن تفكر بابعاد ماغدا كي تكون حراً عندما اطلبك انا للزواج؟».

«لست ادري! اتعتقدين انني لم اطرح هذا السؤال على نفسي؟ تصوري انني لم اكن اريد ان اقع بغرامك».

«نعم، يا لها من تجربة. لكن تجربتك انتهت، اريدك ان ترحل» قالت له باحتقار وغضب.

«ارجوك، اليسا، امنحيني فرصة!» قال وهو يمسك ذراعها.

«لقد منحتك الكفاية»، اجابته بصراخ حاد، فتركها على الفور.

«يجب ان اكون ممتنة لك بطريقة ما. لقد كنت لطيفاً معي، وعلمتني الكثير. ولكنني لم اعد تلك الفتاة الغبية، ولم اعد بحاجة لخدماتك. لقد سبق ودفعت ثمنها غاليا».

شحب وجه ديف كالأموات «اسمعيني. . .».

«لا اريد ان اسمع باسمك بعد اليوم!».

تقدم خطوة نحوها، لكنها صرخت بحدة، واشارت نحو الباب: «اخرج من منزلي!».

فخرج من المطبخ دون ان يلفظ كلمة اخرى.

وبعد دقيقة واحدة، سمعت اليسا الباب يصفق بقوة.

«اذهب الى الجحيم!!» صرخت اليسا وتناولت كوباً عن الطاولة ورمته نحو الباب.

رحل ديف، ومضت ثلاثة اسابيع على مغادرته المنزل، وكان بعد يومين قد عاد الى المنزل اثناء غياب اليسا واخذ ادوات رسمه وبعض الملابس وحاجياته الضرورية. وتساءلت اليسا اذا كان كبرياءه قد منعه من ان يأخذ كل ادواته الأخرى التي دفعت هي ثمنها. ولم يكن قد ترك لها رسالة. لكنها فهمت ان زيارته الخاطفة هذه كانت رسالة بحد ذاتها.

قد تكون الأيام بالنسبة له اقل طولاً وفراغاً مما بالنسبة لها. اين يسكن الآن، ومع من؟ طبعاً بالنسبة له، هذا الانفصال مختلف. ليس امامه سوى ان يتأقلم مع حياته التي كان يعيشها سابقاً. ولكن بالنسبة للاليسا. انها محاولة لبدء حياة جديدة على انقاض الماضي.

واعترفت بألم انه كان قد اثر كثيراً في حياتها: على تسريحه شعرها ومكياجها وملابسها حتى وعلى رأيها الشخصي بنفسها.

-١٠-

وبفضل ديف اصبحت انسانة اخرى. تعلمت معه ان تعتبر نفسها انسانة مهمة فاتنة، تعلمت الوثوق بنفسها تحت نظراته المسامحة.

وبسبب ديف تشعر الآن بالحرمان من هذه الثقة وهذا الأمان، وتحولت بعد الانفصال من تلك الفتاة الوحيدة الخجولة، الى الامرأة المنهارة والتي لا تزال ايضاً وحيدة. واحتاجت لثلاثة اسابيع كي تتمكن من مواجهة الحياة من جديد وبدون ديف.

من الآن، لم تكن قد ادركت الى اي مدى كانت حياتهما مترابطة، وكم كانت تعتمد على مساندته بعد رحيله، لم تتوقف عن البكاء ليلاً ونهاراً في الأسبوع الأول، ولا تزال تبكي في الليل وحدها في سريرها البارد.

كانت تحلم به وتتذكر شجارهما. لم تكن تأكل جيداً. ولم تكن ترغب برؤية احد ولا بالذهاب الى اي مكان.

ولكن هذا لا يمكنه ان يستمر طويلاً، يجب ان تنسى ديف، وتجد هدفاً لحياتها وعملاً. فهي تحمل دبلوماً ولديها العديد من العلاقات وبامكانها ايجاد عمل. وهكذا بدأت بالبحث عن عمل وانتهت عند السيد ماكسويل الذي قال لها بحماس:

«ولكن، يا عزيزتي سيدة رافرتي، سأكون سعيداً اذا وافقت على العمل معي!».

«حقاً؟» سألته بدهشة بدون حماس.

«طبعاً» الح دون ان يفهم ترددها «فأنت كفوءة...».

فهمت اليسا سبب الحاحه، فبالإضافة لثقافتها، لديها اصدقاء من الطبقة الراقية، كما وانها زوجة اشهر الرسامين المعاصرين. وفكرت ان تكلمه عن انفصالهما، ولكن من المؤكد انه علم بذلك. واذا كان يريدها ان تعمل عنده، فلماذا تعترض؟ انها بحاجة للعمل الذي سينسيها مشاكلها.

«حسناً... موافقة».

وفي المقابلة الثانية، شرح لها المدير ماهية عملها. وكان يبدو متحفظاً بالنسبة لموضوع انفصالها عن زوجها. وكانت اليسا تحب هذا المعرض الذي تعرفه منذ سنوات طويلة وتشعر فيه بالأمان.

اعجبها العمل كثيراً وكان دورها يقتضي بأن تكون لطيفة واثقة وقادرة على التكلم عن الفن بلباقة وذكاء مع الزائرين.

وكان اكثر زبائن ماكسويل ممن لهم علاقة بآل ثريغتون.

وكانوا يشترون التحف اللوحات فقط لأن اليسا هي التي تزورهم الصالات. ومن حسن الحظ انها قلما كانت ترى اصدقاء ديف، لأن اكثرهم لم يكونوا قادرين على شراء ما يعرضه هذا المعرض.

مرت الأيام ولم يظهر ديف. فشعرت اليسا بالراحة والدهشة بنفس الوقت، ورغبت في ان تسأل ماكسويل عنه لأن كرامتها منعتها من ذلك. فتساءلت كيف يعيش ولم لكن قد لمس فلساً من حسابهما المشترك في البنك مع ان جزءاً من هذا المال كان يخصه هو قد جمعه من بيعه للوحاته. لابد انه عاد للرسم بناءً على الطلب، ويعيش بدون شك يوماً بيوم. وكانت متأكدة ان ديف قادراً دائماً على الاعتماد على نفسه.

وأخيراً، قررت رؤيته. فليس من ضرورة لترك وضعهما معلقاً هكذا. فكلما انتظرت اكثر، كلما تعقد الأمر اكثر.

ومن المؤكد ان الجميع علموا بانفصالهما، وانهم مندهشون لعدم سماعهم شيئاً عن الطلاق. قد يكونوا يعتقدون انها لا تزال ضعيفة بحبها لديف! يجب ان تتصرف.

بدا السيد ماكسويل سعيداً وهو يعطيها عنوان زوجها. كان يأمل بمصالحة بينهما. فتمنى لها حظاً موفقا، وشكرته، وذهبت الى المدينة.

لم يكن ديف يسكن بعيدا عن منزله القديم، لكن هذا

الحي يبدو اكثر بؤساً، كثيف السكان والسيارات، واضطرت اليسا الى ان تركن سيارتها على بعد مئة متر عن البناية القديمة البشعة، ولم تستطع ان تصدق ان ديف يسكن هنا.

صعدت السلم ببطء وجمعت كل شجاعتها ودقت على باب شقته.

وكانت خيبتها كبيرة عندما لم يجبها احد. فنزلت السلم بتردد. وسارت ببطء على الرصيق. وعندما وصلت الى تقاطع الطريق، لمحت قامة مألوفة تتجه نحو البناية. فدق قلبها بسرعة، وانتظرت ويداها في جيوبها وهي تتأمله يتجه نحوها عندما رآها. كان يبدو بحالة جيدة، لا مبالياً.

«الآنسة التحرية، مثلاً!» قال بسخرية عندما اقترب منها.

«انا لا اتجسس عليك». اجابته بجفاف.

كان قد تغير قليلاً، لكنه لا يزال وسيماً مع ان شعره اصبح طويلاً وغير مسرح. ولم يكن يبدو على وجهه لا الحرارة ولا الصدمة ولا المفاجأة. ولكن اليسا قررت ان لا تكون ضعيفة امامه.

«اذا، كنت تمرين من هنا؟».

«جئت لأراك، يجب ان نتكلم».

«لماذا؟» سألها بقسوة.

«لدي اقتراح اعرضه عليك». قالت له وهي تتحمل نظراته الباردة.

«ما هو؟».

www.elromancia.com

«ايجب ان تتكلم هنا، في الشارع؟».

وكان الرصيف مزدحماً، والمارة يرتطمون بهما.

«انا مشغول جداً، وليس لدي وقت اضيعه... اشرحي اقتراحك...» لم تصدق اليسا ان الرجل الصبور المتسامح المرح يكلمها بهذه اللهجة.

«اريدك ان تعود... بشروطي» تأملها بصمت ثم سألها بسخرية:

«وما هي شروطك؟».

«سيكون زواجاً شكلياً. انت تستفيد من ثروتي، وهذا ما كان يهمك، اليس كذلك؟ وانا اتمكن من مواجهة الناس مع زوج حنون مرح الى جانبي. امام الناس فقط سنكون زوجين...».

«انت لا تزالين كريغتون. بالتحديد! تحاولين انقاذ المظاهر!».

«ممكن. ولكن ماذا يهم؟ ستحصل على كل ما تريده. ارغب فقط ان تتظاهر امام الناس بالحب. لقد سبق ولعبت هذا الدور بشكل جيد... بامكاننا ان نعقد اتفاقاً. ستكون لك الحرية المطلقة، بالإضافة الى كل ما ترغب به من المال...».

«منذ متى تهتمين لآراء الناس المشابهين لعمتك اليزابيت؟».

صرخ باشمئزاز. «الاحترام لا يشترى ابداً. انت تعرفين ذلك. الناس لا يمكن شراءهم. وانا لست للبيع».

«حقاً؟» وشحب لونها واخذت ترتجف.

«لن يمكنك ابداً ان تدفعي الثمن. كل ذهب العالم لا يكفي لاقناعي بلمسك من جديد». ثم تركها مسمرة مكانها من شدة الصدمة وقد حول الكره وجه ديف الى وجه مخيف. ونظرت اليه وهو يشق طريقه بين المُشاة ثم قطع الطريق دون ان يتوقف ليتأكد من حركة السير.

وبنفس الوقت مرت شاحنة مسرعة. كل شيء حصل بسرعة كالحلم. لم ير ديف الشاحنة المتجهة نحوه. لكنه سمع احتكاك الدواليب وزمور السيارة في اللحظة الأخيرة وصرخة حادة... انها صرخته هو.

عندما سمعت اليسا الضجيج والزمامير، انقبض قلبها واخذت تركض كالمجنونة ولم تنتبه لكل ما يدور حولها، كانت فقط ترى جسد ديف ممدداً على الأرض بدون حراك والدماء تسيل منه.

احست اليسا بأنها قضت كل حياتها في المستشفى، لم يعد لوجودها اي معنى. كل ما تستطيع ان تفعله هو الانتظار، وشرب القهوة وسماع هذه الجملة.

«آسف، لم يجد اي تغيير على حالته».

وكان قد مضى اسبوع على بقائها في المستشفى.

وكانت هذه اطول ايام عاشتها: «يا الهي اجعله يستيقظ. حتى ولو كان يكرهني، لا يهمني ذلك. حتى ولو كان يجب علي ان لا اراه، اجعله يشفى».

كانت تصلي لربها بيأس وعذاب. لم تكن قادرة على النوم ولا على تناول الطعام، وكل دقيقة كانت تنهض وتسأل عنه.

«كان بحالة سيئة، اصيب بعدة جروح وبكسر في الجمجمة. ويعيش حالة غيبوبة تامة. وكان الطبيب اندرويس قد شرح لأليسا انه قد يستيقظ وقد لا، ولكن لا شيء مؤكد حتى الآن. وكانوا قد اجروا له عملية جراحية دقيقة.

ولم يكن يسمح لها برؤيته الا من خلال الزجاج.

كانوا قد حلقوا شعر رأسه، ولفوه باللفائف، وهو الآن ممدد على ظهره لا يتحرك. لكنه يعيش بواسطة الأنابيب التي تتشابك فوقه، وإشارة الحياة الوحيدة كانت هي الخط الأخضر الزيك زاك على شاشة المراقبة قرب سريره الأبيض.

وكان الطبيب اندرويس صديقا لعائلتها، فأرسل بطلب طبيب زميل له من اميركا للإشراف على عملية ديف الجراحية. وقد شجعها هذا الطبيب الأميركي، وقال لها انه لا يوجد سبب لليأس التامّ.

وقد امن لها صديق العائلة غرفة ترتاح فيها في المستشفى. ونصحها بأن تتغذى جيداً. لكنها لم تكن تشعر بشهية للطعام. كانت هذه الوحدة تناسبها وعاشت على امل ضئيل.

وفي اليوم التاسع، استيقظ ديف للحظة واحدة. قال لها الطبيب اندرويس واكد لها ان هذا دليلاً على انه سيستعيد وعيه.

فرمت اليسا نفسها على الكرسي وشعرت بالراحة ونامت هذه الليلة جيدا. وعندما استيقظت في اليوم التالي،

اخبرها الطبيب. بأنه خرج من حالة الكوما وانه يفهم ما يقال له، لكنه لا يزال ضعيفاً ويصعب عليه الكلام.

«هل... هل سأل عني؟» سألته اليسا بتردد وفكرة ان يكون رماها الى الأبد بعيداً عن حياته تعذبها، وامام تردد الطبيب، لاحظت ان هناك شيء لا يسير على ما يرام.

«ماذا هنالك؟» سألته بقلق.

«انه فاقد الذاكرة...».

www.elromancia.com

-١١-

وامام قلقها وخوفها، طمأنها الطبيب وقال لها بأن فقدان الذاكرة هو امر شائع بعد حالة الكوما. ولكنه سيستعيد ذاكرته بعد اسبوع او اسبوعين.

«ماذا نسي؟» سألته بتردد.

«من هو ما اسمه... كل حياته اصبحت غريبة عنه. ولكن وكما قلت لك، هذا امر طبيعي، وفقدانه للذاكرة مرحلة مؤقتة».

ولكن وللأسف، لم تعد اليه ذاكرته، وكان الطبيب قد كلمه عن اليسا وسمح لها بزيارته. هذه اول مرة تراه عن قرب بعد الحادث. وبدا لها انه من المستحيل ان لا يذكرها. واقتربت منه بقلق. كان ساكناً، ولكن عيونه حية، وقد ازداد لونها الأخضر. ووجهه لا يزال شاحباً. تأمل ديف

زوجته بنظرات غريبة. يبدو انها اصبحت غريبة بالنسبة له. ولكن شيئاً من ملامحه انساها خجلها، فانحنت وطبعت قبلة خفيفة على خده.

«انا آسف»، تمتم بهمس: «لا اذكر شيئاً».

لم تغير فقدان الذاكرة من طبيعته، فطيبته ظاهرة، كان يبدو يتعذب وهو يقول لها بأنه لا يذكرها. فوقفت اليسا وتبادلا النظرات قليلاً.

«ولكني انا اذكر».

«نعم»، اجابها متنهداً «يجب ان اعرف كل شيء».

فأمسكت اليسا يده واطبق اصابعه الطويلة على يدها. ثم استرخى واغمض عينيه ونام، ظلت اليسا بقربه على امل ان اتصال يديهما ينقل اليه القوة.

وعندما عادت الى غرفتها، بكت طويلاً وشعرت بالراحة بعد هذه الأيام الطويلة الصعبة.

شيئاً فشيئاً، بدأ ديف يتحسن صحياً، ولكن الطبيب كان قلقا من فقدانه لذاكرته. فأجرى له صوراً جديدة اكدت بأنه سيشفى ولكن لا احد يعلم متى.

عادت اليسا للإقامة في منزلها، وكانت تزوره كل يوم محاولة ان لا تظهر له حبها، وراقبت تصرفاتها وكلماتها جيداً، فهو يعتبرها الآن غريبة عنه. لم يكن يحبها ولا يشعر نحوها بأي شيء حاولت ان تفهمه وتخيلت نفسها وقد استيقظت ذات صباح وهي لا تعرف شيئاً عن ماضيها.

وفي احاديثهما، كانت تكلمه فقط عن نفسه وعن حياته. ولم تكلمه عن نفسها ولا عن مشاعرها كي تتركه

على راحته، كان هذا صعباً جداً عليها لأنها لم تكن تعرف شيئاً مهما عن حياته قبل الزواج.

وتجنبت الكلام عن اي شيء في علاقتهما. وكانت تحس احياناً بأنه يفهم بأنها تتجنب بعض المواضيع.

ذات يوم، احضرت له اللوحة الزيتية التي اشترتها من معرضه. وكانت قد اخبرته من قبل انه رسام محترف في عالم الفن. لكن ديف تأمل اللوحة جيداً وحاول ان يتذكر شيئاً، لكنه لم ينجح. ولاحظت اليسا انقباضه وذعره. فأمسكت يدها بحنان.

«لا بأس، ديف، ستعود لك ذاكرتك...».

لكنه ابعد يدها عنه وقال غاضباً: «واذا لم استعد ذاكرتي؟ انت لا تعرفين حقيقة مشاعري. انا كالتائه في عالم آخر. الكل يعرفني وانا لا اعرف شيئاً كنت سأجهل حتى اسمي لو لم تقولي لي انت انني ادعى ديف».

واشتعلت عيناه بالغضب واليأس. فانحنت اليسا وحاولت ان تجعله يسند رأسه على الوسادة.

«هيا، ديف، لا تقلق».

«دعيني بسلام! انت لا تفهمين! انت تقولين بأن والديّ توفيا، وانني بدون عائلة. تقولين بأنك زوجتي، ولكنني لا اعرفك! لا اشعر بشيء نحوك، انا لست شيئاً!».

«يجب ان تهدأ» الحت اليسا وخافت عليه من شدة الانفعال. «سأطلب الطبيب».

«لا... ارجوك» وامسك يدها، واسند رأسه على الوسادة، فناولته اليسا كوباً من الماء. فحمله بيده المرتجفة

وبلل شفتيه الجافتين. ثم ناولها الكوب وتأملها قليلاً بحزن.

«سامحيني، هذه ليست غلطتك انت... ولكن يجب ان اتذكر».

«ستتمكن من ذلك».

في زيارتها التالية، كلمته اليسا عن نفسها وعن دراستها وذوقها، وروت له نكاتا خفيفة. وبما انه كان يستمع اليها باهتمام، وجدت نفسها تكلمه عن مشاعرها وافكارها. لم يرفع ديف نظره عنها.

وكلمته عن زواجهما وعن رحلة العسل الى هاواي. واحمر وجهها اكثر من مرة. ولأول مرة بعد الحادث، ضحك ديف بصمت وهو يراقب احمرار وجهها. ثم وصفت له منزلهما والحديقة والهدوء وهذا ما يمكن ان يريح رجلاً سجن في المستشفى مدة طويلة.

وبعد ان قضى ثلاثة اشهر في المستشفى، اعادت اليسا زوجها الى المنزل. وكان ديف قد نحف كثيراً، ولكن كشخص في فترة نقاهة بعد ذلك الحادث المميت كان في حالة جيدة، ولقد اصبح يسير وحده ولكن ببطء كبير.

بينما ساعدته اليسا في صعود السلم. لم يبد ديف اية ملاحظة، ولم يطرح اي سؤال. وكانت هي تتمنى ان يشعر بشيء في هذا المنزل.

«هذه الغرفة»، قالت وهي تفتح باب غرفة نومهما السابقة فتأمل الغرفة واقترب من النافذة ينظر الى الغابة والسماء، «انه منظر جميل».

هزت اليسا رأسها وحاولت ان لا تظهر شعورها بالخيبة.

اقترب ديف من الجوارير يتأمل محتوياتها. بينما اخذت اليسا تفرغ حقيبته.

«هذا غريب!» تمتم ديف، وهو يتأمل اغراضه الشخصية.

وكانت اليسا قد احضرتها من شقته الجديدة، كي لا يلاحظ انهما كانا منفصلين. وعاد ووقف امام النافذة من جديد.

«اتريد ان اتركك قليلاً اتفضل البقاء وحدك؟».

«لا، لا ابقي معي، كلميني ايضا عن... عنا» ترددت اليسا وكانت هذه اول مرة يتكلم فيها عن زواجهما.

«ماذا تريد ان تعرف؟».

«كم مضى على زواجنا؟».

«سبعة اشهر، خلال الأربعة الأولى، لم تكن تشكو من شيء ابداً» قالت بمكر، فابتسم زوجها.

«لست معارضاً الآن، انت امرأة جميلة جداً».

«شكراً»، واحمر وجهها وكأنها تسمع اطراءً من رجل غريب».

«اذاً كنا متزوجين حديثاً عندما اصبت انا بالحادث؟».

«نعم». وتمنت ان لا يسألها عن تفاصيل اخرى.

«المنزل... والباقي، كل هذا لك؟».

«لنا نحن الاثنين... مناصفة، ولدي اوراق تثبت ذلك».

«نعم، ولكن هذا كان لك انت قبل الزواج. كفنان، لا

يمكن ان اكون املك مثل هذه الثروة...».

«بالتأكيد»، اجابته ممازحة: «لقد تزوجتني من اجل مالي» ابتسم ديف ابتسامته الساحرة التي تعرفها اليسا جيداً.

«انت نحيفة، اليسا، ولكن هذا جيد، فأنا احب النساء النحيفات».

«ديف، ماذا تذكر بالتحديد؟» سألته بسرعة.

«اوه... ليس الشيء المهم».

«ولكنك تذكر ما تحب وما تكره من الأشياء؟».

«نعم، اذا لم افكر فيه. ولكن عندما افكر يفلت كل شيء من رأسي».

«الا تذكر شيئاً عنا؟».

«انا آسف».

امام حزنه، غيرت اليسا موضوع الحديث.

«حان موعد الدواء». قالت وهي تسكب له كوب الماء.

«كنت اعتقد انني غادرت المستشفى»، قال لها مبتسماً. وتمدد على السرير.

«لكن يجب ان تستمر بالعلاج، اذا احتجت لشيء، انا في الغرفة المجاورة». قالت له واتجهت نحو الباب.

«اليسا؟».

فالتفتت نحوه ودق قلبها بسرعة.

«انت طيبة جداً. شكراً لك».

«العفو». قالت له بابتسامة ضعيفة.

في الصباح التالي، استيقظت اليسا باكراً، ودخلت الى

www.elromancia.com

غرفة ديف، فكان لا يزال نائماً، فتحت احد الجواريز بحذر، لكنه احدث ضجة، فرفع ديف رأسه.

«صباح الخير». قال وهو يفرك عينيه.

«اعذرني، لم اشأ ازعاجك».

«لا بأس، كم الساعة الآن؟».

«التاسعة، هل نمت جيداً؟».

«نعم».

«ماذا تحب ان تفعل اليوم؟».

«اوه!!!» قال وهو يتثاءب. «من الرائع ان يتمكن المرء من تقرير ما يفعل، لقد سئمت المستشفى... يعجبني هذا اللون كثيراً. انه يناسبك تماماً».

ضحكت اليسا واخفضت نظرها على قميص نومها الأزرق الحريري.

«ليس مدهشا. فأنت اهديتني اياه، اين تريد تناول الفطور؟ ايمكنك النزول الى الأسفل؟».

«طبعاً».

«عظيم، وبعد ذلك سأزورك المنزل».

«بكل سرور».

وتركته وعادت الى غرفتها كي تبدل ملابسها. وعندما خرجت منها، وجدته ينتظرها على السلم وقد ارتدى بنطلون جينز قد اصبح واسعاً على خصره وكنزة بيضاء. فوجدت اليسا انه من الغريب ان ينسى زوجها حتى اسمه بينما يذكر ما كان يحب ان يرتدي سابقاً.

«اهذه صورة اختك؟» سألها فجأة.

«نعم».

«انها لا تشبهك، وتلك صورة عمتك اليزابيت؟».

«تماماً».

«هل انت قريبة جداً منهما؟».

«ليس تماماً، انهما... اقل انفتاحاً... انهما يصعب شرح ذلك».

«نعم، افهم. والدي كانا كذلك ايضاً، كانا منطويين على نفسيهما».

«ديف!» قالت بصوت مرتجف «انت تذكر!». فنظر اليها وعقد جبينه.

«للحظة واحدة، كان هناك... شيء كالصورة...» وتلألأت نقط العرق على جبينه وهو يحاول جاهداً ان يتذكر.

«لا ترهق نفسك». نصحته اليسا بهدوء.

«انت محقة»، تمتم وسبقها على السلم وهو يمسك بالدرابزين.

www.elromancia.com

-١٢-

فتبعته وهي تشعر بقلق كبير. لم يسبق لها ان شعرت بمسؤولية تجاه شخص يتعذب، وقررت ان تتركه يتصرف على هواه لعله يعود لطبيعته الأولى.

ولكنها سرت كثيراً عندما رأته يتناول فطوره بشهية. ثم قاما بجولة في المنزل الذي اختاراه معاً. وكان يبدو مهذباً ومهتماً، لكنه بعيد، فأدركت اليسا انه يبحث عن اي شيء يرفع الستار عن ذاكرته. المشغل اعجبه كثيراً. فتنقل بين اللوحات وتأمل كل الأدوات، ثم وقف امام النافذة وتنهد بيأس.

«لا شيء، لا شيء ابداً، مع ان هذا كل حياتي، ولكن...».

«اوكسيد دي كروم!».

«ماذا؟».

«انه الدهان الأخضر، لماذا؟».

«اترى؟ انت لا تنسى ما تعرفه. تعرف القراءة، وتعرف الرسم، لكنك تجهل فقط من انت، هذا كل شيء».

«كم هذا مريح!» صرخ غاضباً.

«انا لا اعرف شيئاً، ولكنني اعرف!».

«مشكلتك انك ترهق فكرك، وتجهده، ولكنك لا تزال غير مستعد، يجب ان تسترخي، لا تفكر بذلك، اذا توقفت...».

«هذا سهل قوله، لست انت الغير قادرة على تذكر اي شيء! انت لا تعيشين مع غرباء...».

غرباء! انقبض قلب اليسا، كانت تفهم غضبه لكنها لم تستطع ان تتحمل هذه الكلمة. لاحظ ديف حزنها، فهدأ غضبه فوراً.

«لقد تصرفت كالغبي. اعذريني... انا ممتن جداً لك...».

«انا لا اريد امتنانك! صدقني اذا اردت، ديف، انا لا اطلب منك شيئاً، انا احبك، بكل بساطة، ولا انتظر اي مقابل، لا آمل بحبك بينما انت لا تعرفني، ولكن لماذا لا نكون اصدقاء على الأقل؟».

«هذا يسعدني، ولكنه ليس عدلاً!».

«انا لا الومك».

وفجأة تبدلت ملامح وجهه. فاقترب منها لدرجة انها احست بانفاسه الدافئة. وارتسمت ابتسامة على شفتيه.

«يجب ان تتوقفي عن القلق» فرفعت نظرها وقالت متلعثمة: «اعلم، انه بدون شك غريزة الامومة....».

«لكنني لا انظر اليك كوالدة». اجابها ضاحكاً.

فعادت الى مرحها. واحست بالانجذاب المغناطيسي الذي يربط بينهما.

«كيف تنظر الي اذاً؟».

«كأخت».

تنهدت اليسا، وازعجها مزاحه، ثم ضحكت وخافت ان تفقد عيناه بريقهما المرح.

حافظت اليسا على علاقة افلاطونية مع زوجها، كانا اصدقاء ولكن ردات فعل ديف لم تكن ابداً كعاشق. احياناً كان يتغزل بها ممازحاً. ولم تكن تأخذ هذا على محمل الجد.

واستمرت حالة فقدان الذاكرة رغم بعض لمعات في بعض المناسبات. وذات مساء، قالت له اليسا اثناء تناول العشاء: «اعتقد انه من الأفضل ان نعود لحياتنا الطبيعية».

«ماذا تقصدين؟».

«حسناً، يجب ان اعود الى عملي في المعرض، وانت، يجب ان تعود الى الرسم».

«واذا لم اكن قادراً على الرسم الآن؟».

«لماذا لا تحاول؟».

«آه، ارجوك، انا لست طفلاً».

«وكيف تتأكد اذا لم تحاول؟».

«انت تشكين بأنني سأجد ذاكرتي ذات يوم، اليس

كذلك؟» سألها بمرارة.

«ويجب ان ابدأ حياتي من جديد ودون ان انتظر بأنها قد تعود...».

«ديف لا ابداً ومع ذلك... سيكون الأمر مرعباً اذا لم تتذكر شيئاً؟ يا الهي، كان بامكان الوضع ان يكون اسوأ بالنسبة لك! ان تفقد نظرك او تصاب بالشلل بعد الحادث! ماذا بك؟ هل انا مثيرة للاشمئزاز؟ لماذا لا تنظر الي؟».

«هذا لا علاقة له بك»، اجابها معترضاً.

«واكملا عشاءهما ثم انتقلا الى غرفة النوم صامتين. وشعرت اليسا بحزنه. وتمنت لو تلمسه وتريحه.

«انا آسفة... آسفة لما حصل منذ قليل....».

«منذ قليل؟».

«لم افهم جيداً ما تشعر به مع انك شرحته لي كثيراً، كم انا غبية».

نهض ديف واقترب منها، فارتبكت وارتجفت ركبتاها ودق قلبها بسرعة كبيرة.

«اليسا...».

«نعم؟».

«ان ما قلتيه... بانني اجدك مثيرة للاشمئزاز، انت لا تعنيه، اليس كذلك؟».

«حسناً لنقل انك لا تجدني مثيرة؟» وحاولت ان تظهر بعض المرح.

«لابد انك تمزحين...» وداعب خدها بلطف.

«من المؤكد انك تعرفين... كم انت جميلة».

هزت اليسا رأسها، ولم تجبه. فانزلقت اصابعه الى شفتيها، ثم الى عينيها وكأنه يحاول التعرف الى وجهها. فأخذت ترتعش رغماً عنها.

«انت اجمل امرأة عرفتها».

وهل نسيت الأخريات؟ ارادت ان تسأله، لكن شفاههما التقت بقبلة طويلة حارة الهبت كل مشاعرها.

«اهذا جزء من العلاج؟» همس ديف وهو يداعب عنقها.

«العلاج؟ ماذا تقصد؟».

«انا لا ازال بحالة مرثية، الهس كذلك؟ وانت ممرضة ماهرة...».

«ديف، انت زوجي!».

«انا لم انو ابداً ان اعترض على هذا الأمر». ثم قبلها من جديد. للحظة، لم تستجب اليسا لقبلته. ولكنها انتظرت هذه اللحظات طويلاً، وهي ترغب به كثيراً. فعقدت يديها حول عنقه، وداعبت شعره وبادلته القبلة بنفس الرغبة، وبدون جهد، حملها حتى السرير وتمدد بقربها وضمها اليه بقوة.

«كنت خائفة جداً... اعتقدت انك لم تعد ترغب بي».

«يا لها من فكرة سخيفة!» وابتسم وتناول شفتيها من جديد.

وعندما هدأت انفاسهما، تمدد من جديد بقربها وضحك وقال:

«على الأقل، هذا شيء لا ازال اعرف كيف امارسه...».

ادارت اليسا رأسها في اليوم التالي بحذر. فوجدت ذراع ديف على صدرها وهو لا يزال نائماً. وتذكرت ليلتهما المليئة بالحب وابتسمت بسعادة كبيرة.

هذا قد لا يجيب على كل شيء، لكنه يؤكد لها انها لا تزال تثيره. هذه بداية على الأقل. فأسندت رأسها الى صدره، فتحرك ديف وفتح عينيه، وابتسم لها قبل ان يضمها بين ذراعيه. وكانت متأكدة انه لا يوجد في الكون كله مكان اكثر دفئاً من صدره.

«صباح الخير».

اجابته بابتسامة مشرقة، وفضلت ان تبقى ساكنة تتمتع بهذه اللحظات.

«ما الذي يضحكك؟».

«انا سعيدة».

«وانا ايضاً».

«صحيح؟».

ففتح عينيه بكسل ورأى المطر يتساقط على النافذة.

«انها تمطر؟».

«نعم».

«اذاً لنبق طوال النهار في السرير». واخذ يداعب ظهرها.

«لا استطيع، لقد وعدت السيد ماكسويل ان ابدد العمل اليوم».

«اتعلمين، بالنسبة لأمرأة مستقلة مثلك، اسمك جميل،

لقد ازعجني منذ اللحظة الأولىٰ التي كلمني الطبيب فيها عنك».

«آه؟».

«بالمناسبة، ماذا تعني هذه الكلمات المحفورة على خاتم زواجي، ثروة الحب؟».

«انها رد على اناس مثل عمتي اليزابيت الذين كانوا يعتقدون...».

وابتسمت بخجل: «انك تزوجتني من اجل مالي. بنظري، انا من كانت محظوظة بحبك، انه ثروة كبيرة بالنسبة لي».

«انت لطيفة جداً...».

«سأتأخر على العمل». قالت رغماً عنها وهي تنظر الى الساعة.

ثم نهضت وتأملت ديف الذي كتف يديه خلف رأسه.

«ايها الكسول! ماذا ستفعل خلال النهار؟».

«اوه، لست ادري، ارسم، مثلاً...».

«ديف! هذا صحيح؟» صرخت وهي تمسك يده.

«لا استطيع ان اؤكد لك...».

«انا اعلم بأن هذا سينجح! اذا حاولت انت فقط!».

«اعدك بأنني سأحاول».

ظلت ذكرى هذه الليلة تجعلها تبتسم حتى المساء. وبدا لها كل الناس لطفاء هذا اليوم، والطقس اقل برودة وعند عودتها الى المنزل، ثرثرت قليلاً مع السيدة لارك التي اخبرتها ان ديف قضى طوال النهار في المشغل.

«ايجب ان اؤخر العشاء؟» سألتها عندما رأتها تتناول تفاحة من الثلاجة.

«بالنسبة لي انا، انا اموت من الجوع». اجابها ديف الذي دخل فجأة.

التفتت اليسا والتقت نظراتهما، فارتعشت وارتبكت امام نظرات السيدة لارك. فاصطنعت السعال لتخفي احراجها.

«ايه... كيف سارت الأمور معك اليوم؟» سألته بهدوء. ولم تكن تعتمد كثيراً على الليلة التي قضياها معاً بالأمس لأنها تعلم بأن الحب الجسدي بحد ذاته لا يثبت شيئاً.

«افتقدتك كثيراً». اجابها ديف دون ان يهتم لوجود مدبرة المنزل.

www.elromancia.com

-١٣-

«انا ايضاً افتقدتك». اجابته بعد تردد لأنها لم تكن قادرة على رفع صوتها بشكل طبيعي.

«اذاً تعالي وقولي لي مساء الخير!» ثم التفت ضاحكاً نحو السيدة لارك التي اخفضت نظرها فوراً على الخضار التي كانت قد بدأت بتقطيعها.

ثم ضم اليسا اليه وطبع قبلة على فمها.

«اعتقد انك خجولة جداً».

«ديف!».

لكنه ضمها اليه اكثر، فشعرت باحساس من الضعف لذيذ. لا يجب عليها ان تضعف هكذا، قبلة صغيرة قادرة على جعلها تذوب. ولم يعد يهمها وجود السيدة لارك ولا وجودها بدون دفاع امامه، كل ما يهمها هو ان تعرف حقيقة

مشاعر زوجها نحوها.

في اليوم التالي، شعرت اليسا بأن هذا النهار لن ينتهي. وعندما حان موعد الاقفال، شعرت بالخيبة لأن من عادتها كل يوم ثلاثاء ان تذهب لزيارة عمتها اليزابيت.

وكانت عمتها اليوم متعكرة بسبب المطر الذي منع صديقتها السيدة كولديغ من المجيء للعب البريدج معها.

«أتعلمين اليسا، بامكانك ان تلعبي معي بدلاً منها»، قالت لها عمتها.

«انا لا اجيد هذه اللعبة، كما وانني لا استطيع ان اتأخر على ديف...».

«اتصلي به هاتفياً. على كل حال، انت لست مسؤولة امامه...».

«عمتي، ارجوك ديف لا يزال زوجي».

ولكن امام اصرار عمتها، ظلت اليسا عندها لبعض الوقت، وعادت الى منزلها متأخرة وكان ديف ينتظرها امام الباب.

«اين كنت؟» سألها وهو يأخذ معطفها ويرميه جانباً بعنف.

كانت عينيه تشتعل بالغضب، فنظرت اليه بدهشة.

«كنت عند عمتي اليزابيت».

«لمدة ساعتين؟».

«نعم».

«لماذا لم تتصلي بي هاتفياً؟».

«اعتقدت انك تذكرت وحدك بأنني امر مساء كل يوم

www.elromancia.com

ثلاثاء لزيارة عمتي». وسرها ان يكون ديف قلقاً عليها.

«لكنك لم تتأخري هكذا من قبل!» صرخ بحدة «كنت اتساءل عما حصل لك؟».

«لماذا لم تتصل بعمتي للسؤال عني؟».

«واذا لم تكوني هناك؟ هذا كان سيجعلها تقلق بدورها ايضاً».

«واين كان يمكن ان اكون؟».

«وهل اعلم».

وكي تسمح لنفسها بالتفكير، تناولت معطفها واخذت تنفض الماء عنه.

«لا تديري لي ظهرك!» صرخ ديف وهو يمسك ذراعها ويجبرها على النظر اليه.

«ديف!» ورفعت نظرها نحوه، ورأت نظراته الغاضبة. فأفلتت منها ضحكة صغيرة، فشتم ديف ونظر اليها بحدة. ولكن وبسرعة انفرجت شفتاه وابتسم.

«يا الهي اليسا!» وهزها قليلاً من كتفيها «لا تفعلي ذلك مرة ثانية!».

لمعت عيونها الزرقاء ببريق ماكر، وكانت قد افتقدت لديف كثيراً طوال النهار. وهي سعيدة جداً بعودتها الى المنزل. فضمها اليه بحنان وطبع قبلة خفيفة على شفتيها.

«ماذا تريدين ان تشربي؟» سألها وهو يتجه نحو البار في زاوية الصالون.

«كأساً من النبيذ، لو سمحت».

جلست اليسا على الكنبة تتأمله وهو يسكب الكأسين.

«كيف كان نهارك في المشغل؟».

«لقد وجدت بعض الذكريات»، قال بهدوء.

فهبت اليسا واقفة بسرعة وبدا القلق على وجهها.

«حقاً؟» قالت بسرعة.

«فناولها كأسها، ثم تمدد على الكنبة المقابلة.

«خيالات في البداية، لم اعيرها اي اهتمام، كنت قد تذكرت، بكل بساطة، بدا ذلك طبيعياً جداً»..

ومنذ عودته من المستشفى، كان ديف قد اصبح مرحاً ومتفائلاً، ففكرت اليسا انه من المؤكد سيجد ذاكرته، وكان يجب عليها ان تستعد لذلك، وبحذر سألته:

«ماذا تذكرت؟».

«لا شيء مهم. تذكرت اشياء تخص الرسم، وبعض الصور عن طفولتي، بينما...».

«لا شيء عنا؟ عني؟» فهز رأسه بأسف.

«لا، سنوات حياتي الأخيرة لا تزال كصفحة بيضاء... ما عدا ما يختص بالرسم» اضاف مبتسماً.

سرت اليسا من رؤيته يستعيد حبه لفنه. وارتاحت لأنها علمت انه لم يتذكر شيئاً عن انفصالهما.

عادت اليسا من عملها هذا المساء، واسرعت لرؤية زوجها في مشغله. كان يضع اللمسات الأخيرة على لوحة تمثل المنظر الطبيعي الذي يمتد خلف النافذة، كانت لوحة رائعة تبدو وكأنها التقطت من الجو للغابة والأفق.

تنهدت اليسا وهي ترى ملامح زوجها المأخوذ بعمله. ودقت بخفة على الباب المفتوح. فالتفت ديف بانزعاج.

لكن وجهه اشرق فوراً عندما رآها، وابتسم لها بحنان:

«لم اسمع هدير سيارتك». ثم وضع فرشاته ومسح يديه بفوطة، وضمها اليه وتناول شفتيها، كان فمه دافئاً ولذيذاً. ثم تأملها مبتسماً.

«كيف كان نهارك؟».

«جيداً».

«تعالي وانظري». وجذبها نحو اللوحة.

«منظر جميل». علقت اليسا بمكر فتظاهر بالغضب.

«كل هذه السنوات من دراستك للفن، ويكون هذا رأيك؟ «منظر جميل»؟ حسناً هكذا سأسميها».

وكان من عادته ان يستغل اول تعليق لزوجته ليتخذه اسماً لآخر عمل له.

«هناك رسالة لك تحت. من طبيب يدعى ليدون».

«آه!».

«من يكون، ديف؟».

«انه طبيب يعتمد على التنويم المغناطيسي، وهو مشهور جداً».

«منوم مغناطيسي؟ لماذا؟».

«ان ذاكرتي بدأت تلح، ففكرت بالاتصال بمنوم مغناطيسي كأمل اخير، يبدو ان هذا يؤدي الى نتائج جيدة...».

«لا!».

تأملها ديف بدهشة، ووضع يديه في جيوبه، فحاولت اليسا ان تبتسم رغماً عنها.

«ولكن، التنويم المغناطيسي... يبدو لي غير علمي، الا تعتقد انه من الأفضل ان تأخذ رأي الدكتور اندرويس؟».

«لقد اتصلت به واستشرته. انه موافق».

«ولكن لماذا؟».

«احيانا يبدو لي انك تخافين ان استعيد ذاكرتي». قال لها بحدة.

«لا، ابداً، فإن ذاكرتك بدأت تعود اليك، وهذه بداية جيدة...».

«لكنها ليست كافية، انها حياتي، اليسا! مما تخافين؟».

«لا شيء».

«ولكن بلى. لقد سبق ان احسست بذلك، انت لا تريدينني ان اتذكر شيئاً مما يخصنا نحن الاثنين».

«انت مخطىء، اؤكد لك». واخفضت نظرها وكتفت يديها.

«ديف، انا لم اطلب منك شيئاً من قبل. ولكن، لو سمحت، ارجوك، تخلى عن فكرة التنويم المغناطيسي».

«اليسا».

«ارجوك! اعدك بأن لا اطلب منك شيئاً طالما انا حية...» فاقترب منها، وضمها بين ذراعيه كما يضم طفلاً صغيراً.

«هيا، اليسا. انت تعلمين انني لا ارفض لك طلباً عادة. ولكن هذه المرة، الوضع مختلف...».

«صدقني، انا لا اخشى ان تتذكر شيئاً، ولكن...

احب ان تعود لك ذاكرتك بشكل طبيعي . . . ».

«حسناً، اذا كان هذا مهماً جداً . . . . فأنا افضل ان تقولي لي بصراحة عما تخافينه».

«لا اخاف شيئاً، صدقني».

وعندما لم يجبها، اعتقدت اليسا انها قد نجحت في اقناعه.

في اليوم التالي، جاءت اختها جاكلين وزوجها لزيارتهما، وكانت جاكلين قد احضرت لشقيقتها هدية غير متوقعة.

«مفاجأة!» قالت جاكلين وهي تفتح صندوقاً صغيراً اطل منه رأس كلب اسود صغير.

«عندما وضعت كلبه آن بريغتون صغارها، طلبت منها ان تعطيني واحداً اقدمه لك لأنني اعلم انك تحبين الكلاب التي من هذا النوع».

انحنت اليسا وداعبت رأس الكلب، وسرت كثيراً بهذه الهدية. وبعد ان خرج الزائران، قالت اليسا لزوجها وهما يدخلان الى غرفتهما.

«يجب ان نستقبل الناس، فنحن تقريباً نعيش معزولين».

داعب ديف الكلب الصغير واجابها:

«لم اكن اعلم انك تشعرين بالعزلة».

«انا افكر بك انت».

«انا؟ انا لا اشتكي. لدي كل ما اريده هنا».

ادارت اليسا وجهها لتخفي سرورها، ثم بدأت تبدل

ملابسها.

في اليوم التالي، وصل ديف الى معرض ماكسويل عند الظهر.

«ديف!» قالت اليسا بدهشة: «ماذا تفعل هنا؟».

«جئت لاصطحبك لتناول الغداء في احد المطاعم. لقد سئمت فجأة من تناول الغداء وحدي». ثم طبع قبلة خفيفة على شفتيها جعلتها تفقد انفاسها.

«ديفرو يا بني!» قال السيد ماكسويل وهو يسرع للقائه.

«الا يزعجك سيد ماكسويل، ان احرمك من اليسا لمدة ساعة او ساعتين؟».

«بالتأكيد لا! بامكانك ان تأخذي بقية النهار اجازة، يا ابنتي».

www.elromancia.com

-١٤-

«اوه، ديف!» اعترضت اليسا مراعاة للشكليات.

«هيا، اسرعي باحضار حقيبة يدك، فأنا اموت من الجوع».

ضحك الرجلان، بينما ركضت هي لاحضار حقيبة يدها. وعندما عادت، كان هناك شخص آخر قد انضم الى الرجلين، فانقبض قلب اليسا عندما تعرفت على هذه المرأة الأنيقة. انها ماغدا.

تابعت اليسا سيرها، وتوقفت قرب السيد ماكسويل مقابل ديف ماغدا. وفكرت انهم هكذا يبدون كلاعبين في فريقين متواجهين.

«اليسا!» قالت ماغدا وهي ترفع حاجبيها. «لقد مضى زمن طويل...».

لم تكن ماغدا قد تغيرت بعدكل هذه الشهور التي كانت صعبة جداً بالنسبة لديف ولاليسا، لكنها لم تكن كذلك بالنسبة لماغدا. وظلت ماغدا تنظر الى اليسا باحتقار وبابتسامة صغيرة.

«انت مستعد، ديف؟» سألته اليسا بصوت قاس قريب من التهديد، فاجأها هي نفسها.

بدت الدهشة على وجه السيد ماكسويل، بينما كانت ماغدا تنظر الى ديف وتنتظر ردة فعله.

«بالتأكيد، هيا بنا»، اجابها ديف ثم قال الى اللقاء للسيد ماكسويل وابتسم بأدب لماغدا.

عندما وصلا الى الشارع، امسك ديف يدها فجأة واجبرها على التوقف.

«ما معنى هذا؟».

«ماذا!!؟».

«لا تتظاهري بالغباء! ما معنى موقفك؟».

«ماذا قالت لك؟» سألته وهي تبعد يده عنها بسرعة.

«قالت؟» ردد بدهشة: «قالت صباح الخير، ديفرو، هل تذكرني؟ انا آسفة جداً للحادث الذي تعرضت له لماذا تسألين؟».

«لأنها كانت عشيقتك!» اجابته اليسا غاضبة.

قست ملامح ديف، وامسك ذراع زوجته وجذبها نحو السيارة دون ان يضيف اية كلمة. ثم جلس بقربها في السيارة.

«حسنا، لنتكلم الآن».

www.elromancia.com

«ليس هناك ما يقال». اجابته بحزم.

«لقد كانت عشيقتك...».

«متى؟».

«قبل زواجنا...» ومنعت نفسها من ان تضيف: «وقد يكون بعده ايضاً».

«اذاً؟».

«اذا...».

«حسناً، انا لا اذكر شيئاً عنها، اخيراً!».

«لكنها لا تزال تذكرك».

التزم ديف بالصمت واخذ يتأمل الشارع وكأنه يفكر فحاولت اليسا جهدها ان لا تبكي.

«هناك شيء آخر، انا متأكد» قال فجأة بعد لحظات.

«انت تتصرفين وكأن... لهذا علاقة بالباقي، اليس كذلك؟ ولهذا تخافين ان استعيد ذاكرتي؟».

لم تجبه اليسا، فمرر اصابعه بتوتر في شعره.

«ماذا هنالك؟ ماذا تخافين ان اكتشف؟».

من جديد، هزت رأسها ولم تجب.

«اليسا»، تمتم بلطف: «تكلمي، ارجوك».

«من السهل ان تفهم لماذا لا احبها! انا اغار عليك، هذا كل شيء».

«لست بحاجة لذلك».

ضحكت بتوتر. ورفع ديف وجهها واجبرها على النظر اليه.

«قولي لي ماذا فعلت».

«لا شيء...».

«على كل حال، انا لا افهم شيئاً من كل هذا».

في المساء، بدا لها المنزل فارغاً وبارداً. ودخل ديف الى الصالون ليشرب كأساً.

«أتريدين ان تشربي شيئاً؟».

«لا شكراً». وكتفت يديها وانتظرت بينما هو يراقبها. كانت اعصابها مشدودة. وقد قررت بعناد ان لا تخبره شيئاً. وتساءلت اذا كان لا يزال غاضباً. وماذا يخفي في رأسه؟ لماذا لم يقل شيئاً؟ انه يتأملها كأنه يتفحص لوحة.

«حسناً؟» قالت بجفاف.

«انا استمع لك».

«لست ادري ماذا تريد ان تسمع».

«الحقيقة...».

«اعذرني، لم اقصد ان اكون فظة هكذا...».

«حسناً، انسي ذلك».

«انا اغار منها...».

«لماذا؟».

«انت تعرف».

«لا، كانت عشيقتي في الماضي، حسناً. ولكنك انت من تزوجت».

«لكنك لا تحبني!» صرخت بحدة فنظر اليها بدهشة.

«ماذا تقولين؟ بالتأكيد انا احبك!!» ثم اضاف وهو ينظر في عينيها: «الا ترين انني اذوب بك كلما نظرت اليك اشعر بشيء غريب يشدني اليك لا اعلم ما هو...

www.elromancia.com

صدقيني اليسا انا اشعر بك هنا في قلبي وهذا يؤكد انني كنت احبك ولم ازل» قال لها هذه الكلمات وهو يشير الى قلبه.

رنت كلماته في اذنها، وتزاحمت الأفكار في رأسها. لقد سبق له ان قال بأنه يحبها. ولكن كلمة الحب ليس لها نفس المعنى بالنسبة لها.

«انت تحبني؟».

اقترب منها وحدق بعينيها من جديد، فحاولت اليسا الابتسام، ثم اخفضت رأسها.

«احبك...» فهزت رأسها.

«ولكن بلى. انا احبك... كيف يمكنك ان تشكي بذلك؟» تمتم امام فمها قبل ان يقبلها بحنان.

«انت تشعر بالامتنان نحوي... منذ تعرضك للحادث».

«الامتنان؟» وانفجر ضاحكاً.

«الآن زوجتي تهتم بي؟».

«لم تكن تقول لي بأنك تحبني».

«بلى، كنت اقولها كل يوم. قد لا يكون ذلك بمجرد الكلام، ولكن... كان هذا واضحاً!».

ترددت قليلاً، نعم، كان يظهر لها الحب، ولكن ذكرى ما حصل بينهما قبل الحادث تجعلها تشك بكلامه.

«عندما تزوجنا من المؤكد انني قلت لك بأنني احبك».

«لكن الآن هذا مختلف! بالنسبة لك، كل شيء بدأ عندما رأيتني في المستشفى».

«هذا صحيح. ووقعت في حبك من جديد، حتى ولو مت وان عشت ورأيتك سوف اقع في حبك من جديد الآف المرات الا تعلمين ان القلب يعشق مرة واحدة... الم تلا حظي ذلك؟ اتعتقدين انه فقط بدافع الامتنان المسك؟» وكان يضمها بين ذراعيه، ويداعب ظهرها بحنان.

«قد يكون هذا مجرد مجاملة».

«انه اكثر من ذلك! احب كل شيء فيك، طريقة نومك، تحولك من فكرة لأخرى كالغبية. لا يمكنني ان اشرح لك. احتاج فقط لأراك دائماً بجانبي، كل شيء يكون مشرقاً عندما تكونين معي». وابتسم ونظر اليها بحنان. لكن اليسا لم تصدق اذنيها.

«لست ادري ماذا اقول». وتنهدت بخجل.

«لما لا، آه، نعم. انا افهم ماذا تشعرين لكنني احبك».

لأول مرة، رغبت اليسا بأن تضحك بمرح، وبعد تردد قصير، رفعت يديها نحو كتفيه وعقدتهما خلف عنقه، فامطر وجهها بالقبل ثم تناول شفتيها بكل شوق وهيام.

شعرت برغبة تعادل رغبة ديف. انها تحبه وتريده... ولا يوجد سبب يمنعها من الاستسلام له. انه يحبها هي تشعر بذلك من خلال نظراته وقبلاته ودفات قلبه وارتجاف يديه وشفتيه. لم يكن يجب عليها ان تطرح الأسئلة وتندم على شيء. فاستسلمت لفمه الظمآن، وتركته يحملها الى عالم السعادة.

عموماً، كانت الساعات تمر بسرعة في المعرض. ولكن

www.elromancia.com

هذا اليوم بدت لها الساعات طويلة، وشعرت بأنها سجينة بين هذه اللوحات والتحف. وعندما حان موعد الاقفال اخيرا، شعرت بسعادة كبيرة.

عندما دخلت الى منزلها، حيث السيدة لارك بمرح ووضعت حقيبة يدها على الكنبة وانحنت تداعب الكلب الصغير الذي نزل من السلم مسرعاً لاستقبالها.

«حسناً، كيف كان يومك؟» قالت له وهي تداعب اذنيه. ثم نهضت واسرعت الى السلم ودخلت فوراً الى غرفتها. ولكنها توقفت امام الباب عندما رأت ديف جالساً على السرير...

واخيراً التفت نحوها، وكان وجهه شاحباً، عندئذ لمحت اليسا الى جانبه قماشاً بنفسجياً. تقطعت انفاسها، وعرفت ذلك الثوب القديم الذي كانت ترتديه عندما رسم لها ديف اللوحة الأولى.

حتى الآن، كانت قد نسيته في قعر الخزانة، وفهمت كل شيء، حتى قبل ان يفتح ديف فمه.

«لقد تذكرت كل شيء...» اخذت ساقاها ترتجفان، وجف حلقها: «آه؟».

فنظر اليها بكره. واضطرت هي الى ان تسند ظهرها الى الحائط كي لا تنهار نهائياً.

«و... هل هذا مهم؟».

«لقد حصلت على ما كنت تريدينه! كنت مستعدة لكل شيء كي تستمري بالتمثيلية، اليس كذلك؟ لم اكن اعلم ان المظاهر تهمك لهذه الدرجة».

«ليس الأمر هكذا...».

«لا؟ اذاً اشرحي لي لماذا فكرة استعادتي للذاكرة كانت تخيفك. ليس لأنك بهذا الشكل تحصلين تماماً على كل ما كنت ترغبين به، اليس كذلك؟».

«بلى، ولكن ما كنت اتمناه ليس ما تعتقده انت...». بالتأكيد الحب!».

انه كابوس! كانت عيون ديف تشتعل بالغضب والاشمئزاز.

«تماماً»، قالت بدون اي امل: «كنت احبك، وخفت ان تكرهني اذا استعدت ذاكرتك».

«تحبينني؟ ها! لقد رميت بي خارجاً وانت تصرخين بانك تكرهينني. وكانت تلك نفس ملامحك عندما التقيت بك امام منزلي الجديد».

«فقط بعد الحادث فهمت... ولكن ماذا كنت تنتظر؟ لقد اهنتني وجعلتني اشعر بالذل! جعلتني ابدو غبية! اذا كرهتك، فهذا لأنني كنت احبك كثيراً».

«اذا، اردت ان تعامليني بالمثل؟».

«لماذا لا تحاول ان تفهم؟» ورفعت يديها بيأس.

«لم يتغير شيء حقاً. كنا سعيدين جداً معاً، حتى الآن».

«سعادة مبنية على الأكاذيب». ونظر اليها باحتقار.

«بل كانت مبنية على الحب». الحت اليسا: «لا يمكنني ان اغير الماضي. ومن الجنون ان نرمي بكل شيء بسبب الماضي!».

www.elromancia.com

«انت محقة، لا يمكننا تغيير الماضي». ثم تأملها قليلاً بحزن.

«ماذا تقصد، ديف؟».

«انا بحاجة للتفكير...». ثم نهض وخرج من الغرفة.

وقفت اليسا امام النافذة، فرأته يخرج من المنزل ويركب سيارته وينطلق بها. ظلت تنظر الى السيارة والدموع في عينيها الى ان غابت عن الأنظار، ثم جلست على السرير واخفت وجهها بيديها.

لا يجب ان تيأس. ستحاول ان تشرح له اكثر عندما يعود، بالتأكيد، عودة ذاكرته اليه سببت له صدمة قوية... فذلك المشهد الأخير الذي حصل بينهما قبل الحادث لا يزال جديداً على فكره. ولكن لديه ذكريات اخرى ايضا، وخاصة ذكريات الأشهر الأخيرة.

المهم انهما متحابان، انها متأكدة من مشاعره نحوها، فلماذا لا يثق هو بها ايضا؟ وظلت تصغي السمع على امل عودة ديف اليها.

كان الوقت متأخراً جداً عندما سمعت هدير سيارته. كانت مستلقية وغير قادرة على النوم. وبعد لحظات، سمعت باب المدخل يفتح ويغلق من جديد، وسمعت بعدها وقع خطواته على السلم، فخبأت وجهها في الوسادة، وكانت اعصابها متوترة جداً. لكنها رفعت رأسها عندما دخل ديف.

«بامكانك اشعال الضوء. انا لست نائمة».

لكنه دخل وجلس بقربها دون ان يلمس الضوء.

«اين كنت؟» سألته بهدوء دون ان تظهر اي انفعال من خلال صوتها.

«قمت بجولة في السيارة، ثم تمشيت قليلاً... كان يجب ان تقولي لي» اضاف وكأنه ردد هذه الكلمات عدة مرات.

«في البداية، لم اتمكن من ذلك لأنك كنت مريضاً جداً! ثم، خفت ان نفسد كل شيء... كنت آمل ان تقع في غرامي لشخصي... لم اكن ارى ان هذه وسيلة قادرة على محو الماضي».

«لا يمكن محو الماضي ابداً».

«لا، ولكن بامكاننا ان نتجاهله. هذا ما كنت انويه، اردت ان يفقد الماضي كل اهميته».

«وكيف كنت ستتمكنين من ذلك؟ كنت تنتظرين فقط ان اقع بحبك؟».

كان صوته خالياً من اي شعور وكأنه بعيد عنها. ففهمت بأنه لعب هذا الدور كثيراً في رأسه قبل عودته. كان يتكلم، لكنه لم يكن يشعر.

«نعم، لأنك اذا وقعت بحبي هذه المرة، فسيكون ذلك من اجلي انا فقط. وهكذا يمكنني ان انسى الماضي».

«كنت مغرماً بك حتى قبل انفصالنا. وانت تعلمين ذلك لأنني قلته لك». اجابها بحدة هذه المرة.

«نعم، اعلم. لكنني لم اكن اصدق. هل تتصور صعوبة الأمر بالنسبة لي، ديف؟ كنت اموت عند افكر بأنك تزوجتني فقط من باب الشفقة».

«وبشهوانية». اجاب بسخرية «ولا تنسي المال».

«هذا صحيح. لكنني كنت اعبدك».

«من طلب منك ذلك؟ من طلب منك ان تدخلي حياتي بعيونك الزرقاء وهذه العبادة؟ يا الهي... انت لم تكوني ساذجة لهذه الدرجة! كنت تعلمين، انا متأكد. وهذه احدى الأسباب التي جعلتني اغرم بك. ولقد دفعت الثمن. جردتني من كل شيء، حتى من كرامتي!».

ثم صمت قليلاً وأضاف: «انا رجل، اليسا، ماذا كنت تعتقدين؟ كنت تقدمين نفسك لي... يا الهي! وقدمت لي ثروة! وانا اخذت كل شيء».

«انا لم اكن افهم، اذاً، كنت اعتقد انني اتعرف جيداً. ولكنني الآن اصبحت ناضجة. لم يكن لدي انذاك اية تجربة، ولم يكن لدي من اكلمه. لم اكن اعلم ماذا افعل، كرهتك واحببتك بنفس الوقت. ولهذا السبب بحثت عنك وعرضت عليك الاستمرار بالزواج على شروط. لم يكن لدي حل آخر لاستعيدك. ولكنك نظرت الي بكره واحتقار».

«ليس الأمر كذلك. انت لم تعرضي علي العودة بالتحديد. انت... قلت... اشياء... كنت اكره نفسي لا انت. كنت غاضباً منك لكنني ابداً لم اكرهك». ونهض ووقف امام النافذة واضاف:

«لقد فكرت كثيراً. انت كل ما انا لست عليه. انت صريحة، بريئة ورقيقة. كنت متسامحة معي رغم ما حملته لك من متاعب... لو كنت اصغر بعشر سنوات لاستطعت

ان اصلح ما تدمر بيننا» قفزت اليسا من السرير ووقفت امامه.

«منذ متى اصبحت انا قديسة؟ اذا كنت تريد فسخ زواجنا، فابحث لك عن حجة اخرى تكون افضل!».

نظر اليها بابتسامة ضعيفة. لكنها اضافت بنفس الحدة.

«نحن مختلفان جداً! لكننا نكمل بعضنا. لقد عرفت الكثير من الشبان اللطفاء الغير معقدين. لكنني كنت اشعر بالملل معهم. انت قلت بنفسك. هذه...».

«ماذا؟».

«لا اعرف ما هو.... ولكنه مثير. وحتى ولو كنت انا قديسة، فواحد منا يكون كافياً لاثنينا. الم تتساءل اذا كنا سعيدين معاً...؟».

«انت سعيدة معي؟» سألها وهو يتأمل وجهها على ضوء القمر.

«ايمكنك القول بصراحة انك كنت سعيدة معي؟».

«الا تعلم ذلك؟ لقد منحتني كل شيء. والآن، تريد ان تأخذ كل ما وهبتني؟».

«اليسا...».

«ديف... لماذا تبحث عن المشاكل حيث لا وجود لها؟».

«لا شيء اسهل من ذلك...».

«فتحسست شفتيه باصابعها المرتجفة.

«لماذا تصر على معاقبة نفسك ومعاقبتي؟ الماضي مضى وانتهى» فضمها اليه وقبلها بحنان وشوق.

«آه، ديف...».

«اليسا! لقد تعبت واتمنى ان نبدأ من جديد».

حملها بين ذراعيه القويين وهو يهمس بأذنها بأرق كلمات الحب والوعود بالإخلاص والتسامح والوفاء..

www.elromancia.com
مرمورية